الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد

université de Tlemcen

كلية الآداب واللّغات

قسم اللغة و الأدب العربي

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص: علوم اللغة العربية

الموضوع

بين البلاغة و الأسلوبية
-دراسة مقارنة-

إعداد الطّالب (ة):

برحال مريم

إشراف :

أ.د/ شريفي عبد اللطيف

لجنة المناقشة		
أستاذ محاضر	عبد الكريم لطفي	رئيسا
أستاذ دكتور	طرشي سيدي محمد	عضوا مناقشا
أستاذ محاضر	شريفي عبد اللطيف	مشرفا و مقررا

العام الجامعي: 1438 - 1439هـ/ 2016- 2017م

﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾

النساء :113

يا عليم علمني من علمك ما ترضى به عني ،

و لا تؤاخذني بما تعلمه مني .

شكر و تقدير

الحمد لله و الشكر لله الذي لولاه لما وصلنا إلى ما نحن عليه من أبسط ما يمكن أن أقدمه للذين كان لهم الفضل في عملي هذا ، الإعتراف بالجميل

لذلك أتقدم بشكري الخالص إلى الأستاذ الدكتور " شريفي عبد اللطيف " فإشرافه على مذكرتي مفخرة لي

شكرا لك سيدي على توجيهاتك و نصائحك التي انارت طريق بحثي إلى أن صار واضح المعالم سهل الفهم

كما أتقدم بتحية شكر و تقدير إلى كافة أساتذة أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم قراءة هذا البحث ، و أعي تماما أن نقدهم لي سيكون بناء و ارائهم شرف لي تنير دربي بالكلمة الطيبة .

إهداء

إلى أحب قلبين أمي و أبي

إلى العقد المتماسك إخوتي

إلى كل من رافقني في هذا المسار

إلى كل من جمعتني بهم كلمة سلام

إلى عائلتي برحال ولدهم كبيرا و صغيرا

إلى : مريم ، أمينة ، فيروز ، صليحة ، سومية ، سهام ، فتيحة ، ريحانة ، خولة .

إلى كل من غفلت عنهم الذاكرة من بعيد أو قريب

مقدمة

الحمد لله على نعمائه ، و الصلاة و السلام على نبيه الذي ختم به مصابيح هدايته ، و مواردَ حكته ، و ينابيعَ معرفته محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و سلم) و على آله و صحبه ، و من عمل بنهجه ، و إتبع سبل رُشده و بعد :

تعدُ العلاقة بين البلاغة و الأسلوبية علاقة وثيقة و قوية تتمثل أساسا في أن محور البحث في كليهما هو الأدب ، إلا أن النظرة إل هذا الأدب تختلف في المنظور البلاغي عنها في المنظور الأسلوبي ، فالبلاغة تستند في حكمها على النص إلى مقاييس و معايير معينة ، و هي موجودة قبل وجود العمل الأدبي . في حين أن الأسلوبية تتعامل مع النص بعد أن يولد ، أي أن وجودها تال لوجود الأثر الأدبي ، و هي لا تنطلق في بحثها من قوانين مسبقة .

فالبلاغة علم لساني قديم ، و هي علم معياري ، و هي تنطوي على قوانين مطلقة تقوم على الاختبار بين إمكانية عدة ، و تكمن أهمية البلاغة في أنها العلم الذي بواسطته تتضح معاني إعجاز القرآن ، كما تتكشف أهميتها في أن قواعدها تساعد على فهم الأدب و أسبابه ، و معرفته الأفضل من القول ، و الأقوم من التراكيب ، بمعيارية تقوم على الذوق السليم و الحدب على التراث .

بينما تعد الأسلوبية علم لساني حديث ، و هي علم وصفي ، أي أنها تنظر إلى اللغة بوصفها متغيرة و متطورة ، فهي تدرس الأسلوب من خلال اللغة و ليس من خلال القواعد المعيارية أو القياسية التي للبلاغة ، و تتضح أهميتها في أن أفق الدراسة الأسلوبية أوسع أفق الدراسة البلاغية ، لأن الأسلوبية تدرس جميع الظواهر اللغوية بدءا من الصوت حتى المعنى ، مرورا بالتراكيب ، فهي تهتم بالأسلوب .

و بالتالي تتضح أهمية هذا الموضوع (بين البلاغة الأسلوبية — دراسة مقارنة) من خلال جدته و طرافته . فهو الموضوع الذي يقدم صورا مختلفة من المفردات و التراكيب و الأساليب و قيمة كل منها الجمالية و التأثيرية

وتعد هذه الأهمية سببا من الأسباب التي دفعتني إلى الإنجداب نحو هذا الموضوع و إختياره و عقد العزم على معالجته

إلى جانب أسباب أخرى منها ماهي موضوعية و من بينها :

1.قيمة هذا الموضوع من خلال معالجته النصوص الأدبية

2.مدى فائدة هذا الموضوع و شموله و اتساع مجاله

3.المكانة البارزة لهذا الموضوع في الدراسات اللغوية و اللسانية الحديثة

و منها ما هي ذاتية و من بينها :

4.ميولي و إنجذابي نحو هذا الموضوع

5.رغبتي في محاولة تقديم الإضافات إلى جهود السابقين في هذا الميدان

6.سعي في إثراء معارفي المتعلقة بهذا الموضوع

أما الهدف من هذه الدراسة و الغوص في مجال البحث فيها هو : الوقوف عند العلاقة الرابطة بين البلاغة والأسلوبية

و هذا ما يقودني إلى طرح الإشكالية التالية : فيما يكمن الفرق بين البلاغة و الأسلوبية ؟ وهل تستطيع الأسلوبية كعلم حديث للأسلوب أن تقوم مقام البلاغة ، و أيضا أن تلعب دورها التعليمي المعياري ؟

و كل هذه التساؤلات و ما شابهها حاولت أن ألملمها و نجيب عنها في هذه الدراسة التي أفضت بي إلى إتباع الخطة التالية :

أول ما بدأت به مقدمة فاتحة للموضوع ، متبوعة بثلاث فصول رئيسية ، كل فصل منها مكون من أربع مباحث :

-الفصل الأول : كان لا بد مني – في رأيي- أن أعرض فصلا خاصا حول مفهوم البلاغة ، و هذا ما قدمته في هذا الفصل ، و أما عن مباحثه فهي كالتالي :

-المبحث الأول : خصّصته لتعريف البلاغة : فعرفتها في اللغة ثم في الاصطلاح

-المبحث الثاني: تتبعت فيه نشأة علم البلاغة العربية

-المبحث الثالث : عرضت فيه أهم رواد البلاغة العربية الذين برزوا في هذا الميدان و أسهموا في تطويره

-المبحث الرابع : ذكرت فيه أهم المدارس البلاغية مدعمة بمخطط توضيحي شامل لها

-الفصل الثاني : كان حول مفهوم الأسلوبية حيث استقللت فيه بالاسلوبية كما نحونت تجاه البلاغة في الفصل السابق و تضمّنت مباحثه ما يلي :

-المبحث الاول : تناولت فيه مفهوم الأسلوبية في الدراسات النقدية ثم في المعجمات اللسانية

-المبحث الثاني : تحدثت فيه عن نشأة الأسلوبية

-المبحث الثالث: قدمت فيه أهم رواد الأسلوبية

-المبحث الرابع : تطرقت فيه لأهم المدارس البلاغية و أرفقتها بمخطط توضيحي

-أما الفصل الثالث : الموسوم بمقارنة بين البلاغة و الأسلوبية ، فقد حاولت من خلاله أن أوضح و أعرض الفرق الموجود بين علم البلاغة و علم الأسلوبية و لذلك قسمته إلى المباحث التالية :

-المبحث الأول : عنونته بالبلاغة و الأسلوبية و قدمت فيه شرحا يوضح نوع العلاقة بينهما

-المبحث الثاني : عددت فيه أوجه الإختلاف بين علم البلاغة و علم الأسلوبية

-المبحث الثالث : تطرقت فيه كذلك لأوجه التلاقي بين هاذين العلمين (البلاغة و الأسلوبية)

-المبحث الرابع : وقفت فيه عند التحليلين الأسلوبي ثم اللغوي

و في الأخير ذيلت هذا البحث بخاتمة استعرضت فيها الخلاصة التي توصلت إليها من هذه الدراسة ، أردفتها بقائمة للمصادر و المراجع

و مما لا شك فيه أن هذه الدراسة لا بد أن تعتمد على بعض مناهج البحث العلمي التي تعد هي نقطة إرتكاز البحث ، و عليه فقد إعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي مستعينة بالمنهج المقارن الذي يعد بمثابة وسيلة إجرائية تقتضيها طبيعة هذا البحث ، مستعينة كذلك ببعض الطرق التي تساعد على استخلاص النتائج كالتحليل و التعليل و التعبير و غيرها

و لا أدعي أن الطريق نحو بلوغ الهدف كان معبّدا او دون أي عقبات حيث لم يكن في متناول يدي في هذا الموضوع دراسات كافية أستنير بها ، فعلى الرغم من وجود طائفة من الدراسات التي عالجت موضوع البلاغة و الأسلوبية . إلا أن موضوع المقارنة بينهما لم يكون موضوعا قائما بذاته ، و إنما كان في غالبه يدخل في سياق دراسة جوانب عدة فيه

و اما المشقة الاخرى تكمن في صعوبة العثور على المصادر و المراجع ، و ممكن الصعوبة أيضا يلمح في اتساع مستويات البحث التي يصلح كل منها لأن يكون بحثا مستقلا بذاته .

و أما عن أهم المصادر و المراجع التي إعتمدت عليها أذكر منها : تاريخ البلاغة العربية للأستاذ عبد العزيز عتيق ، الأسلوبية (الرؤية و التطبيق) للأستاذ يوسف أبو العدوس ، اللغة و الأسلوب لحسن حميد ، بالإضافة إلى بعض الرسائل الجامعية كرسالة ماجستير حول خصائص الأسلوب في شعر محمد العيد آل خليفة للطالبة صفية بوعناني ، و رسالة ماجستير حول " ابن حميد س الصقلي دراسة بلاغية و أسلوبية في الديوان " ليوسف بلعيد ...و غيرها .

و لا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن ألا أن أتقدم بجزيل الشكر و خالص الإمتنان و عميق التقدير لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور عبد اللطيف شريفي على توجيهاته السديدة و إرشاداته القيمة و ملاحظاته العلمية و المنهجية التي أفادني كثيرا و ساعدتني حتى يبلغ العمل مبلغه ، فجزاه الله أفضل جزاء .

كما أتوجه بالشكر إلى الأساتذة الذين كانوا لي المعلمين و الموجهين و الناصحين طوال فترة دراستي فلهم كل الشكر و التقدير و الامتنان

و إني لا أنسى رفقاء الدرب كلا بإسمه ، و كلا من شجع و لو بكلمة طيبة . فإن أحسنت فبحمد الله و توفيق منه . و إن أسأت فمن نفسي و إجتهادي ،

و الله من وراء القصد و هو يهدي السبيل .

تلمسان يوم :2017/04/24

الطالبة: برحال مريم

الفصل الأول :

حول مفهوم البلاغة العربية

المبحث الأول: تعريف البلاغة العربية

المبحث الثاني : نشأة البلاغة العربية

المبحثالثالث:رواد البلاغة العربية

المبحث الرابع: مدارس البلاغة العربية

المبحث الأول : تعريف البلاغة

البلاغة فن و الفن يعني الصنعة إن نتاج هذه الصنعة أمر مدبر أي أنه لا يرجع إلى الطبيعة و صدفها بل هو نتاج العقلانية المنهجية الإنسانية و بعبارة أخرى : البلاغة منهج يمس خاصية ملازمة للإنسان هي الكلام ، و بصفتها منهجا فإنها تتميز بمجموعة من القواعد ، هذه القواعد ليست مرصوفة بطريقة تعسفية، بل و قد رُبط بينهما من زوايا نظر قائمة على أساس منطقي . و تكون هذه القواعد، في مجموعها بناء معقدا يتكون هيكله من التبعية و المشابهة و التحديد. نستخلص من ذلك أن للبلاغة طبيعة نسقية . و مع أن هذا النسق بقي غير كامل ، و تعرض لتغيرات متوالية فإن وظيفته الأولى بقيت مع ذلك واحدة ، و هي إنتاج نصوص حسب قواعد فن معين .

أما المفهوم العلمي الحديث للبلاغة فإنه مخالف لذلك . فهو عكس المفهوم السابق إذ لم يعد الهدف الأول للبلاغة العلمية هو إنتاج النصوص بل تحليلها .[1]

*التعريف اللغوي:

جاء في مادة (ب ل غ) يبلغ بلوغا لمكان إذا وصل إليه أو شارف عليه و يقال : بلغ فلان مراده إذا وصل إليه ، و بلغ الركب المدينة إذا انتهى إليها و مبلغ الشيء منتهاه . و كذلك يقال : بلغ الرجل بلاغة فهو بليغ إذا بلغبعبارته كنه مراده من إيجاز بلا إخلال أو إطالة أو إملال .[2]

و البلاغة في اللغة : الوصول و الإنتهاء يقال : بلغت الغاية إذا انتهيت إليها و بلغ الشيء ...وصل و انتهى ، قال تعالى : ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾[3]. و بلُغ الرجل بلاغة فهو بليغ ، و هذا قول بليغ ، و

[1]-البلاغة و الأسلوبية ، هنريش بليث نموذج سيميائي لتحليل المص ، ترجمة و تعليق : د. محمد العمري ، أفريقيا الشرق 1999 – بيروت – لبنان ، ص : 16

[2]-الإحاطة في علوم البلاغة لـ : شريفي عبد اللطيف ، زبير دراقي ، ص : 11 ، الطبعة 1 ، ديوان المطبوعات الجامعية – الساحة المركزية – بن عكنون – الجزائر ، 01-2004

[3]-المائدة، رقم السورة: 5، رقم الآية : 95

تبالَغَ في كلامه : تعاطى البلاغة . و ليس من أهلها . و ما هو بليغ لكن يتبالغ ، فمبلغ الشيء منتهاه و كفايته، و البلاغة يوصف فيها الكلام ، و المتكلم ، و يبدو أنها في أكثر أحوالها صفة للكلام و ليس في صفة المتكلم ، و شملته من باب التوسع في المعنى فحقيقة الكلام بليغ حذف للموصوف ، و إبقاء للصفة مكانة ، قال تعالى ﴿ **حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ** ﴾[1]. ، فالباري عز و جل جعل البلاغة صفة للحكمة ، و لم ينسبها للحكيم ." و البلاغة الفصاحة....و رجل بليغ و بلْغ و بلْغُ و بلغْ: حسن الكلام فصيحه بليغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه ، و الجمع بلغاء ، و قد بلُغَ بالضم بلاغة أي صار بليغًا" .[2]

فالبلاغة و الفصاحة ترجعان إلى معنى واحد و إن إختلف جذرهما اللغوي. لأن كل واحد منهما هو الإبانة عن المعنى و الإظهار له ، فسمّيت البلاغة بلاغة " لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمها " [3]

و بعرف أبو مغلي البلاغة في اللغة بأنها : الوصول و الإنتهاء يقال بلغ فلان مراده أي وصل إليه و مبلغ الشيء منتهاه .

و بلغ الرجل بلاغة فهو بليغ ، أي حسن التعبير و الافصاح عما في نفسه ، و يوصف بالبلاغة كل من الكلام و المتكلم .

و لا يفرّق كثير من العلماء بين البلاغة و الفصاحة ، إذا لإبلاغ عما في النفس هو الإفصاح ، جاء في معجم الصحاح للجوهري : أن البلاغة هي الفصاحة [4].

[1]- القمر رقم السورة : 54، رقم الآية : 05
[2]-كتاب البلاغة العربية ، المفهوم و التطبيق ، أ.د. حميد آدم ثويني ، كلية التربية / جامعة بغداد ، قسم علوم القرآن الكريم و التربية الإسلامية ، دار المناهج للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ص 11
[3]-المرجع نفسه : ص : 11
[4]-المفيد في البلاغةالعربية،د.سميح أبو مغلي ، ص : 10،9 ، ط:1

و قال أبو هلال العسكري :" البلاغة و الفصاحة ترجعان إلى معنى واحد ، و إن اختلف أصلاهما لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى و الإظهار له " [1]

و د.ربيعي محمد عبد الخالق يقول :" أن البلاغة في مفهومها اللغوي تعني انتهاء الشيء إلى غايته المطلوبة ، و بلوغه الهدف المنشود " [2].

و محمد أمين الضناوي أيضا يعرّف البلاغة لغة بأنّها : الوصول و الإنتهاء إلى الغاية المنشودة من الكلام الذي نريد إبلاغه أو إيصاله إلى الآخرين ، و قد قيل في بيان ذلك أمثلة عديدة منها : بلغت غايتي (أي وصلت إليها) ، بلغ المسافرون المدينة (أي انتهوا إليها) [3]

و كذلك يعرفها الدكتور عاطف فضل محمد لغة في قوله :" البلاغة- لغة- تعني الوصول و الإنتهاء ، يقال : بلغ فلان مراده إ إذا وصل إليه ، و بلغ الركب المدينة ، إذا وصل إليها . و بلغ الامر : وصل إلى غايته ، و أبلغهُ الشيء : أوصله إليه .

و البليغ من الرجال : حسن الكلام فصيحهُ ، و الجمع بلغاء . و قد بلغ بلاغة : صار بليغًا.

-الإنتهاء و الوصول

-الفصاحة و حسن القول [4]

[1]-كتاب الصناعتين لأبي العسكري ، ط:1 ، (1401هـ-1981) ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، تحقيق : د، مفيد قميحة ، ص : 16
[2]-البلاغة العربية ، وسائلها و غاياتها في التصوير البياني ، د.ربيعي محمد علي عبد الخالق ، كلية التربية ، جامعة طنطا (1989) دار المعرفة الجامعية ، اسكندرية ، ص: 3
[3]-معين الطالب في علوم البلاغة ، محمد أمين الضناوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية - بيروت -لبنان ، ص : 9
[4]-البلاغة العربية ، الدكتور عاطف فضل محمد ، بيانات النشر : عمان – دار المسيرة للنشر و التوزيع ، الطبعة الأولى : 2011 م – 1432 هـ

التعريف الاصطلاحي :

و البلاغة في الاصطلاح هي : تقرير المعنى في الأفهام من أقرب وجوه الكلام . قال علي بن أبي طالب (ت 40 هـ) :" البلاغة إفصاح عن حكمة مستغلقة و إبانة عن مشكل " و قال صُحار العبدي (ت 40 هـ) :" البلاغة الإيجاز " و قال الحسن بن علي (ت 42 هـ) :" البلاغة إيضاح الملتبسات و كشف عوار الجهالات بأسهل ما يكون من العبارات " و قال خالد بن صفوان (ت 115 هـ) : " البلاغة إصابة المعنى و القصد إلى الحاجة " و قال ابراهيم الإمام (ت 132 هـ):" البلاغة هي الجزالة و الإطالة " . و قال الخليل بن أحمد (ت 175 هـ) :" البلاغة ما أقرب طرفاه و بعد منتهاه " و قال خلف الأحمر (ت 180 هـ) : " البلاغة لمحة دالة " . و قال ابن الأعرابي(ت 231 هـ) :" البلاغة إيجاز في غير عجز و الإطناب في غير خطل " . و قال ابن المعتز(ت 296 هـ) :" البلاغة البلوغ إلى المعنى و لم يطل سفر الكلام" و قال النويري (ت 733 هـ) : " فأما البلاغة ، فهي أن يبلغ الرجل بعبارته كنه ما في نفسه و لا يسمى البليغ بليغا إلا إذا جمع المعنى الكثير في اللفظ القليل و هو المسمى إيجازا " . و قال أعرابي : البلاغة التقرب من البعيد ، و التباعد من الكلفة ، و الدلالة بقليل على كثير ، هذا و البليغ عمرك الله من تراه بعبث بالكلام و يقوده بألين زمام "

و تقع البلاغة وصفا للكلام و المتكلّم فقط و لا توصف الكلمة بالبلاغة لقصورها عن الوصول بالمتكلّم إلى غرضه و لعدم السماع بذلك .[1]

[1]-الإحاطة في علوم البلاغة ، شريفي عبد اللطيف و زبير دراقي ، ص : 11

أ-بلاغة الكلام : و هي مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب مع فصاحة ألفاظه مفردها و مركبها . و الكلام البليغ هو الذي يصوره المتكلم بصورة تناسب أحوال المخاطبين و يشتمل على حال (مقام) و مقتضى (إعتبار مناسب)

أما الحال أو المقام ، فهو الأمر الحامل للتكلم على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة دون أخرى و ينقسم إلى غرض و مخاطب . فمع غرض الوعيد و الزجر مثلا يقتضي المقام أن يكون الكلام فيه فخما جزلا و مع غرض الوعظ يوجب البسط و الإطناب ، و كذلك الأمر مع المخاطب فإذا كان من العامة وجب مخاطبته بما يناسب عقله و بيانه ، و إذا من الخاصة وجب مخاطبته بما يناسبه.

و أما مقتضى الحال أو الإعتبار ، فهو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة. و يسمى عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز إيراد الكلام على مقتضى الحال مع فصاحته بالنظم في قوله :"النظم توخي معاني النحو فيما بين الكلام على حسب الأغراض التي يصاغ لها . فالشاعر البازل أو الكاتب الجيد هو الذي يضع كلامه الموضع الذي تقتضيه تلك المعاني ...فإنك لا تجد سببا لهذا الحسن الذي يهجم عليك و يملأ عينك إلا توخى تلك المعاني و توفيه حقوقها ، ثم إنه ليست المزية بواجبة لهذه المعاني في أنفسها .و لكن تعرض بحسب الأغراض التي يوضع لها الكلام "

و ملخص القول : إن الأمر الذي يحمل المتكلم على إيراد كلامه في صورة دون أخرى يسمى " حالا" أو " مقاما" و إلقاء الكلام على هذه الصورة التي اقتضاها الحال يسمى " مقتضى" و البلاغة إذا هي مطابقة الكلام الفصيح لما يقتضيه الحال و تبنى على عناصر ثلاثة : اللفظ و المعنى و تأليف الألفاظ . [1]

[1]-المرجع السابق ص: 14

ب-بلاغة المتكلم :

و هي ملكة النفس يقتدر بها صاحبها على تأليف كلام بليغ مطابقا لمقتضى الحال مع فصاحته في اي معنى قصده ولا يتأتى له انماء تلك الملكة و ادراك الغاية الا اذا أحاط بأساليب العرب خبرا و عرف سننهم في المخاطبة و النظم ليجعل لكل مقام مقال .

فعلى المتكلم و طالب البلاغة معا أن يعرفا علوم اللغة ، و الصرف ، و النحو و المعاني ، و البيان و البديع و هي كلها علوم أساسية للإتيان بالقول الفصيح البليغ أو الوقوف عليه . كما يلزمهما التمتع بالذوق السليم و الإكثار من الإطلاع على كلام العرب منظومة و منثوره لصقل ملكة الكلام و تعويدها على إبداع محاسن القول و لطائف المعاني .[1]

و البلاغة تقع بمثابة وصف المتكلم ، فنقول : متكلم بليغ ، أو الكلام ، فنقول : كلام بليغ . لكن الجدير بالذكر أن البلاغة فن قبل كل شي يعتمد على صفاء الاستعداد الفطري ، و دقة إدراك الجمال ، و تحديد الفروق الخفية بين صنوف الأساليب .

إن من أهم أسباب التكوين الفني و تنشيط المواهب الفاترة ، هو المرانة التي تساهم في شحذ الفكر و إتساع آفاقه [2]

فبلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال ...بمعنى أن يأتي الكلام لموضوعه و لحال المخاطبين به .[3]

عرفت البلاغة عدة تعريفات انصبت جلها في قالب واحد ، ألا و هو أن البلاغة هي بلوغ المعاني بأوجز الألفاظ ، و الكشف عن المعاني الخفية بأسهل العبارات ، أو هي تقريب المعاني البعيدة بألفاظ سلسة طيعة لطيفة ، مع التكثيف في الدلالات و يراد بها اللمحة الدالة ، و الإشارة الموحية

[1]-المرجع السابق ،ص:14
[2]-معين الطالب في علم البلاغة ، محمد أمين الضناوي ، ص : 9
[3]-يوضح هذا التعريف مدى إرتباط البلاغة القديمة بالخطابة زمن إزدهارها

التي تغنينا عن أساليب الإطناب و الاستطراد و الحشو ، و تطلق البلاغة على العفوية و السجية و التلقائية في القول ، دون تعقيد أو تعمل كما تطلق على قوة البيان ، و حسن الإئتلاف بين الوحدات اللغوية ، و صحة الإعراب ، و سلامة الأعاريض و الأضرب .

و مما يعرف أن للبلاغة آلة توسع في معرفة العربية ، و وجوه الإستعمال لها و العلم بفاخر الألفاظ و ساقطها ، و متخيرها ، و رديئها ، و ما يصلح في كل واحد من الكلام [1].

و البلاغة اسم لمعاين تجري في وجوه كثيرة ، منها ما يكون في السكوت ، او يكون في الإستماع ، أو ما يكون شعرا ، و منها ما يكون سجعا ، أو ما يكون خطبا ، أو ربما كانت رسائل ، و الإيجاز هو البلاغة : فعبارة منها ما يكون في السكوت ، فالسكوت يسمى بلاغة مجازا و هو في حالة لا ينجح فيها القول و لا ينفع فيها إقامة الحجج فإذا كان الكلام يعرى من الخير — أو بجليا الشر ، فالسكوت أوْلى كما قال أبو العتاهية :[2]

– ما كل نطق له جواب * جواب يكره السكوت

و عند تتبع آراء مجموعة من العلماء القدماء المصنّفين ، نرى أن تحديدها بدأ عند قدامة ابن جعفر (ت 337 هـ) إذ قال :" و قد ذكر الناس البلاغة و وصَفوها بأوصافٍ لم تشْتَمل على حدها ، و ذكر الجاحظ كثيرا مما وصفتْ به ، و كل وصف منها يقتصر على الإحاطة بحدها ، و حَدُّهَا عندنَا أنه القول المحيط بالمعنى المقصود ، و مع إختيار الكلام ، و حُسنُ النظام ، و فصاحة اللسان أن الأعجمي و اللحان قد يبلغان مُرَادَهُمَا بقولهما ، فلا يكونان موصوفين بالبلاغة ، وزدنا حسن

[1]-ينظر البلاغة العربية ، المفهوم و التطبيق ، أ.د حميد آدم ثويني ، الصفحة 13
[2]-كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر ، من تصنيف أبي هلال العسكري ، تحقيق د.مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1401هـ/1981 م ، ص 23

النظام ، لأنه قد يتكلم الفصيح بالكلام الحسن الآتي على المعنى و لا يحسن ترتيب ألفاظه ، و تَصير كل واحدة منها مع ما يشاكلها فلا يقع ذلك موقعه "

و قال ابن المعتز (ت 296 هـ) :" سئل آخر عن البلاغة فقال : دُنُوَّ المأخذ و نزع الحجة و قليل من كثير. و رأى الروماني علي ابن عيسى (ت 284 هـ) إنها :" إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ ". و جعلها عشرة أقسام هي: الإيجاز ، التشبيه ، الاستعارة ، التلاؤم ، الفواصل ، التجانس ، التصريف ، التضمين ، المبالغة ، حسن البيان .

و أما أبو هلال العسكري (ت 295 هـ) فيعد أول مصنف أشار إلى علوم البلاغة في تقسيماتها الثلاثة (المعاني ، البيان ، البديع) و حددها إذ قال :" البلاغة كل ما تبلغ به قلب السامع فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة و معنى حسن....على أن من شروط البلاغة أن يكون المعنى مفهوما و اللفظ مقبولا " أي " إيضاح المعنى ، و تحسين اللفظ " و بدأ الأمر أكثر اتصالا بعامة العربية في تقرير المفهوم العام للبلاغة عند تقدم الزمن البحثي في من نظرَ بها من العلماء ، فعبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) يرى أن الفصاحة و البلاغة ، و البيان، و البراءة ألفاظ مترادفة ، لا تصنف بها المفردات و إنما يوصف بها الكلام بعدتوفي معاني النحو ، فيما بين الكلم ، و حسب الأغراض التي يراد بها صياغة .[1]

غير أن ذلك الإتصال في ارتباط المعنى بعامة اللفظ في إتصاله بالألفاظ الأخرى في تحديد المعنى العام لمفهوم البلاغة ، أخذ منحنى التحديد ، و الإصطلاح ، عندما بُحث من لدن العلماء المتأخرين ، فهذا ابن الأثير (ت 637 هـ) يقول :" و البلاغة شاملة الألفاظ و المعاني ، و هي أخص من الفصاحة كالإنسان من الحيوان ، فكل إنسان حيوان ، و ليس كل حيوان إنسانًا، و

[1]-المرجع السابق ص 14

كذلك يقال :" كل كلام بليغ فصيح ، و ليس كل كلام فصيح بليغا ". فهناك خصوصية في تحديد المفهوم ، و كأن الأمر الأمر بدأ أشبه بالمصطلح العلمي المجرد، و كلما مر الزمن تحدد مفهوم البلاغة ، و صار أقرب إلى التقييد ، و التعقيد ، قرأ القزويني (ت 739 هـ) أنها " في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته " . أي جعل مقتضى الحال مرتبطا بالإعتبار المناسب في تحديد الفصاحة أو عدمها ، و البلاغة في كل ما تقدم يمكن تحديد مدلولها الإصطلاحي : وضعٌ للكلام في إدراك السامع بإيجاز أو تطويل ، و تأدية المعنى بعبارة فصيحة ، و صحيحة ، لها وقع في نفس السامع أو القارئ مع إدراك مكانة من يعرض أمامه الكلام ، و هي بعدُ : فن القول الذي يبنى على موهبة ، و قدرة ، و استعداد ، يستند إلى حفظ لما يستجد من روائع الأدب ، و ممارسته للتعبير عما يجيش في الخاطر من أفكار و تسمو به النفس ، و لا شك في أن تضافر تلك الظروف تهيئ الإنسان لتكوين الذوق الأدبي ، و معرفة الأعمال الأدبية ، و الحكم عليها .[1]

المبحث الثاني : نشأة البلاغة العربية

إن الإلمام بنشأة البلاغة العربية يستدعي أولا الرجوع إلى ما وصل إلينا من أدب العرب في العصر الجاهلي. و إن الدارس لهذا الأدب شعره و نثره ليتولاه العجب حقا من تملك عرب الجاهلية لناصية القول . و من تفننهم في طرق التعبير عن أفكارهم و خواطرهم إلى درجة تشهد لهم بعلو المكانة في عالم الفصاحة و البلاغة .

ففي أشعار الجاهلين ، و التي كانت تمثل معظم أدبهم ، يرد الكثير من أساليب البيان المختلفة من تشبيه و مجاز و استعارة و كناية و ما إلى ذلك .

[1]-المرجع السابق ، ص : 14

و عن هذه المحاولة يقول الجاحظ :" و من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا ، و زمنا طويلا يردد فيها نظره ، و يجيل فيها عقله ، و يقلب فيها رأيه، و تتبعا على نفسه ، فيجعل عقله زماما على رأيه ، و رأيه عيارا على شعره ، إشفاقا على أدبه ، و احرازا لما خوله الله مننعمته ، و كانوا يسمون تلك القصائد : الحوليات ، المقلدات ، المنقحّات ...ليصير قائلها فحلا خنديذا شاعرا مغلقا "

كل هذه المقتبسات تؤكد طبيعة الشعر الجاهلي و بلاغته السمحة التي تأبى الصنعة إلا ما جاء منها عفو الخاطر من غير قصد و لا تعمّل .

و إذا كان زهير بن أبي سلمى قد سنّ لشعراء الجاهلية سُنَةً تنقيح الشعر و تثقيفه و تجويده فليس ذلك في الواقع عن ولع منه بالصناعة الشعرية ، و لعله بهذه المحاولة كان ينزع إلى إكمال الفني في الشعر ، و البلوغ به إلى أسمى درجات ممكنة من التعبير ، أو ليصبح فَحلا حنذيذًا و شاعرًا مغلقًا على حد قول الجاحظ [1].

و مع ما أثر عن عرب الجاهلية و تميز به أدبهم من بلاغة ، فقد كان من بينهم من يفضل قولا على قول ، كما يتجلى في مناظرات الشعراء و فيما كان يدور في أسواق العرب و أنديتهم و مجتمعاتهم من حوار أدبي حول الأشعار التي تنشد فيها .

و مما سبق نستطيع القول أن أوليّات البحث في البلاغة العربية تلتمس إذن في مناظرات الشعراء و في المجال التي كان يتصدر للحكم فيها على الشعر أمثال النابغة الذبياني ، و كذلك و فيما كان يثار من جدل و نقاش حول الشعر الذي كان ينشد في أسواق العرب و أنديتهم .

[1]-في تاريخ البلاغة العربية ،د.عبد العزيز عتيق ، أستاذ بجامعة بيروت العربية ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت – لبنان ص :7-9

و من هذه الأولويات أيضا تنقيح الشعر و تجويده و ما يدل عليه ذلك من إلمام الشاعر لمقاييس بلاغية يطبقها على شعره و يخضعه لها، و يدخل في هذا الباب أيضا ما عرف من عرب الجاهلية من كثرة الخطباء البلغاء ، و ما أثر عنهم من شدة اعتزازهم بالبيان ، و يحدثنا الجاحظ بأن الجاهليين عرفوا عيوب البلاغة و الخطابة مستدلا على ذلك ، بما يرد في اللغة من الأضداد .

من كل ذلك ندرك أن عرب الجاهلية قد عرفوا الكثير من الأساليب البلاغية و صورها ، و أن منهم من بدأ بذوقه و حاسته النقدية يقضي بين الشعراء ، و يميز بين محاسن الشعر و عيوبه على أساس مقاييس بلاغية تتصل بإختيار الألفاظ و المعاني و الصور الشعرية ، كما تتصل بالإيجاز و التعقيد و المطابقة بين الكلام و مقتضاه ، و ما إلى ذلك من الملاحظات البلاغية لفن القول .

و إذا إنتقلنا من العصر الجاهلي إلعصر صدر الإسلام رأينا أن الملاحظات البلاغية اخذت تزداد فيه نموا بفعل الاسلام الذي أدى : إلى تحضر العرب ، و خروجهم من عزلتهم في الجزيرة إلى الأقطار و المدن المفتوحة ، و استقرار الكثيرين منهم فيها ، و إحتكاكهم عقليا بحضارتهم ، و كل هذا أعان على رقي العقلية العربية و انفتاحها و اتساع آفاقها .

و لا شك أن الإسلام كان عاملا قويا في تطور اللغة عن طريق إستخدام المجاز الذي وسع الفكر العربي و نوع مجالاته على أساس أنه الصلة بين الألفاظ و المعاني . و كان للرسول طريقة في البلاغة . و أحاديثه تفيض بالمجازات و الأساليب البلاغية التي بلغت ذروة البيان العربي ، بل إنه سلك في نشر الدعوة الإسلامية سبيل الإقتناع البلاغي الذي آذعن له العرب .[1]

ثم كان القرآن الكريم معجزة الرسول حجة بلاغية ، فقد تحدّى العرب أن يأتوا بمثل هذا القرآن و بعشر سور أو بسورة واحدة فعجزوا ، و كان الغرض من ذلك هو التحدي في ذاته بالنسبة

[1]-المرجع السابق ، ص : 12-14

لأي شيء أو قدر من القرآن كله أو بعضه أو سورة منه على السواء . فالتحدي كان بنوع هذا القرآن لا بمقداره ، و العجز كان عن النوع لا بالمقدار .

و الحق أن القرآن هو أكبر و أهم مصدر عربي تنوعت فيه طرائق التعابير البلاغية . و الرغبة لدى علماء العربية في تفهم القرآن دفعتهم إلى البحث في بلاغته ، و قد أدى هذا الإتجاه بدوره في العصور الاولى إلى ظهور العديد من الكتب التي تبحث في معاني القرآن و مشكله و مجازه و نظمه و إعجازه، قد ذكر إبن النديم في كتابه الفهرست أكثر من عشرين عالما ممن توفروا على دراسة معاني القرآن .

و قد ظلت البلاغة متّصلة بالقرآن على هذا النحو من الجدل في مجازاته و نظمه و إعجازه و مشكله حتى جاء أحد متأدبي القرن الرابع الهجري ، و هو أبو هلال العسكري فقرّر أنّ علم البلاغة هو الوسيلة لمعرفة إعجاز القرآن .

و كان للعرب في الإسلام مجالس أدبية تشبه مجالس الجاهلية، و لكّنها كانت أكثر منها تنوّعا . كانت هناك مجالس الخلفاء و الولاة و هذه كانت معرضا للشعر و موضعا لإثارة كثير من المسائل الأدبية و الفنية . و كان هناك الأسواق العامة كسوق المريد في البصرة الذي كان يسمى سوق عكاظ في الإسلام ، و سوق الكناسة في الكوفة ، فهذه الأسواق كانت بمثابة منتديات أدبية . و كان ذلك أيضا عاملا إجتماعيا في ترقيق الألفاظ و تدقيق المعاني و ترقية النقد . و بالإضافة إلى الأسواق الأدبية كانت مساجد البصرة و الكوفة ميدانا آخر لنشاط علماء العربية في كل علم و فن .بل كان هناك مجالس للنساء كعائشة بنت طلحة التي كانت عليمة بأخبار العرب و أيامها و أشعارها . و كسكينة بنت الحسين التي عرفت بذوقها الأدبي و نقد الشعر و الغناء [1].

[1]-المرجع السابق ، ص :16-18

فهذه المجالس و أمثالها كما يصورها الرواة كان يدور فيها شيء من النقد اللفظي و المعنوي للشعر ، و النقد وثيق الصلة بالبلاغة ، من حيث أنه يمدها بالجزيئات التي تتكون منها أصولها .

و في عصر صدر الإسلامازدهرت الخطابة العربية و نهضت نهضة ملحوظة لكثرة دواعيها ، و بلغت عناية الخطباء بها مبلغا عظيما ، فإهتمامهم الارتقاء بأساليبهم البيانية و تنويعها تدل على إدراكهم لبعض أسرار البلاغة التي تُكسب القول جمالا و تأثيرا في النفوس .

ثم كان لظهور طبقة الكتاب أثر في نشأة البلاغة العربية و تطورها . فالرسول صلوات الله عليه قد إتخذنوعين من الكتّاب : كتّابًا يُدونون كل ما يوحى إليه به من القرآن ، وأخرون يكتبون ما كان يبعث به من رسائل إلى الملوك و غيرهم يدعوهم فيها إلى الإسلام .

كذلك اتخذ الخلفاء الراشدون كتابا يدونون رسائلهم التي يبعثون بها إلى أمرائهم ، و ولاتهم و قواد جيوشهم اجابة عن أسئلتهم أو توجيها لهم في حروبهم او سلوكهم مع رعيتهم ، و كانت الكتابة في عصرهم جامعة مانعة و فيها بلاغة و إيجاز . و قد كان لخلفاء الأمويين و العباسيين كتّابهم الذين يكتبون رسائلهم في كل ما يعنّ لهم من شؤون الامة و أحوالها المختلفة ، أو في طلب حرب أو صلح أو حث أو تحريض .

و قد ظهرت في العصور الاولى مؤلفات في أدب الكتابة و الكتّاب ، اهمها في القرن الثالث الهجري : كتاب " أدب الكاتب" لإبن قتيبة الدينوري (276 هـ) ، و كتاب " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" لضياء الدين بن الأثير (237 هـ) . و كتاب صبح الأعشى للقلقشندي ، و هذه كان لها أثرها في تاريخ البلاغة ، و لكنها متأخرة عن عصر نشأتها .[1]

[1]-المرجع السابق ، ص :18

و خلاصة القول هنا أن الكتاب بحكم صناعتهم و رغبتهم في تجويدها كانوا ينظرون في أساليب القول و يتخيرون أبيها ، و منهم من كان يدلي برأيه في بعض قضايا البلاغة ، و من العلماء من استهواهم الأمر فألفوا كتبًا في أدب الكتابة و الكتّاب تعرضوا فيها لمسائل بلاغية ، و هذا كله بطبيعة الحال كان له أثره و شأنه في تاريخ البلاغة و تطورها .[1]

و إذا ما تركنا الكتّاب فإننا نلتقي بالمتكلمين من معزلة و مرجئة و شيعة و و خوارج و غيرهم ، وهؤلاء كان لهم أكبر الأثر في تاريخ البلاغة العربية .

اعتمدوا الجدل طريقهم للدفاع عن عقيدتهم و دحض حجج خصومهم أيًا كانوا ، كما إتخذوا من الألفاظ و فهم دلالاتها و عرضها على ألوان شتى وسيلتهم إلى الإقناع و الغلبة على معارضيهم. و الجاحظ المعتزلي أوضح برهان على ما امعن فيه المتكلمون من الجدا ، و كتبه على تباين موضوعاتها يغلب عليها طابع الجدل . و من طبيعة الجدل و صناعة الكلام العناية بدلالة الألفاظ أو التوجه نحو فن البلاغة . و لعل كتاب " البيان و التبيين " للجاحظ أول كتاب معروف في تاريخ البلاغة جمع فيه صاحبه كثيرا من القضايا البلاغية .

و هكذا عنى المتكلمون بفهم القرآن و ما فيه من فنون التشبيه و المجاز و البديع ، و جادلوا في تعبيراتها ، و ادّاهم هذا الجدل إلى التفّنن اللفظي و البحث في القضايا البلاغية .

و بعض المتكلمين تصدوا للتأليف في إعجاز القرآن و نظمه و معانيه ، و لا تفوتنا الإشارة هنا إلى بشر بين المعتمر و صحيفته القيمة التي تعرض فيها القضايا أساسية في البلاغة إن لم تجعله أول مؤسس لعلم البلاغة العربية ، فلا أقل من أن تجعله بين الرعيل الأول من مؤسسيه.

[1]-المرجع السابق ، ص: 18-20

و ما من شك في أن صحيفة بشر بن المعتمر كان لها أثر ملموس في تاريخ البلاغة ، فقد تأثر بها بعض رجال البلاغة ، و استمدوا منها إشارات و إيحاءات توسعوا فيها ، و عقدوا لها أبوابا و فصولا فيما كتبوه عن البلاغة .

فعلماء الكلام ، و منهم بشر بن المعتمر ، قد اتصلوا إذن بالبلاغة العربية في دور نشأتها. و أسهموا بجهودهم العلمية في بنائها ، كما اتصلوا بها في دور ازدهارها و اكتمالها .[1]

كذلك كان للفقهاء و المفسرين أثر في تاريخ البلاغة و نشأتها ، فالفقهاء اعتمدوا في استنباط الأحكام إلى بنية و أصول التشريع الاسلامي على نصوص من الكتاب و السنة . و هذا بدوره أدى إلى التطرق في أساليب القرآن البيانية ، و التأمل في ألفاظه و دلالاتها ، و في طرائق التعبير و مراميها و كان الإمام الشافعي محمد بن ادريس (ت 304 هـ) أول من كتب في أصول الفقه ، و له كتاب "الأم" استهله بمقدمة ذكر فيها حقيقة البيان العربي .ثم جاء الفقهاء من بعده فتوسعوا في البحوث اللفظية البلاغية ، و اعتبروا الإلمام بعلوم البلاغة مع سائر علوم العربية من الأدوات المعينة لهم على الاضطلاع ببحوثهم الفقهية و الأصولية .

كذلك أسهم المفسرون في تطوير البلاغة ، و ذلك بالتعرض عند تفسير آيات القرآن إلى إبراز جانبها البلاغي لفظا و معنا و أسلوباً . و فيما بعد كانوا يشرحون في الآيات من بلاغة و نحو و صرف على أنه جزء من التفسير أو مدخل إليه .

و بالإضافة إلى عمل المفسرين و جهدهم في نهضة البحث البلاغي نرى البلاغين الأوائل يعدون القرآن مرجعهم الأوّل الذي يستمدون منه أمثلتهم ،و ممن شاركوا مشاركة فعالة في بناء البلاغة طوائف اللغويين و النحاة و الرواة ، فهؤلاء كانوا من أكبر العاملين في ميدان البلاغة العربية

[1]-المرجع السابق ، ص : 21-31

،فاللغويون و النحاة عنوا ببحث الألفاظ و دلالاتها ، و باللغة و قواعد بيانها ،كما عرضوا لما في النصوص الأدبية من بلاغة عند شرحها ، و الرواة نقلوا أحاديث الأدب ، و تحدثوا في الاستعمالات المختلفة للكلمات [1].

و من اللغويين الذين بحثوا في جوانب من البلاغة : أبو العباس محمد ابن يزيد المبرد شيخ الطبقة السادسة من طبقات نحاة البصرة (ت 285 هـ) ، و المفضل بن محمد الضبي صاحب المفضليات ، و كثير من النحاة ألفوا كتبًا في البلاغة أو فيما يتصل بها كيونس بن حبيب (ت 183 هـ) ، و مؤرج السدوسي (ت 195 هـ) ، و أبو العميثل (ت 240 هـ) له كتاب معاني الشعر ، و الاخفش الاوسط (ت 221 هـ) له كتاب " تفسير معاني القرآن و غيرهم .فهؤلاء العلماء النحاة الذين ظهر معظمهم في العصر العباسي الأول لم يحصروا نشاطهم العلمي في مجال النحو و إنما نراهم في مجالات أخرى متصلة بالأدب و البلاغة .

هذه نبذة عن طوائق اللغويين و النحاة و الرواة في العصر العباسي الأول يتبين أن علمهم بالبلاغة و النقد و اسهامهم في تطوير مباحثها لم يكن قليلا ، و إن حكم الجاحظ عليهم فيه شيء من الإجحاف و التجني. و لا شك أن ما يذلوه من جهود علمية في هذا المجال كان له أثر قوي في تاريخ البلاغة العربية .

و لا يفوتنا هنا أن نشير إلى الشعراء و أثرهم في البلاغة . فقد كانوا في الجاهلية و صدر الإسلام مصدر الاحكام الفنية كما تصورها الروايات القديمة . كما كانت أسواق العرب في الجاهلية و الإسلام منتدى للشعراء يناشدون فيها الأشعار ، و كان هذا العامل الاجتماعي بدوره يؤدي من

[1]-المرجع السابق ، ص : 31 – 33 ، 40

جانب الشعراء إلى ترقيق الألفاظ و تدقيق المعاني ، و من جانب النقاد إلى رقي النقد عن طريق تقد الألفاظ أو المعاني الجزئية أو المفاضلة بين الشعراء و بيان مزاياهم و عيوبهم .

فهذا النشاط من جانب الشعراء و نقادهم أثار إهتمامًاكبيرا بصناعة القول ، و أنتج ملاحظات بلاغية تعد النواة الأولى في مباحث البلاغة العربية ، و قد ظلت هذه الملاحظات البلاغية تنمو و تتكاثر حتى وصلت إلى القرن الثالث الهجري.[1]

و الشاعر الخليفة العباسي عبد الله بن المعنز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد يشير إلى غرضه في تأليف كتاب البديع بقوله :" و إنما غرضنا من هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع ". و كتاب البديع هذا يشتمل على خمسة أبواب تحدث فيها ابن المعتز عن أصول البديع الكبرى من وجهة نظره .

و ابن المعتز بوضعه كتاب البديع فقد قام بالمحاولة الأولى في سبيل استقلال هذا العلم البلاغي و تحديد مباحثه التي كانت من قبل مختلطة بمباحث علم المعاني و علم البيان .

كما لفت أنظار الناس إلى أن البديع كانموجودا في القرآن و اللغة و أحاديث الرسول و كلام الصحابة و الأعراب و غيرهم و أشعار المتقدمين ، و لكنه كان مفرّقا يأتي في الكلام عفوا ، ثم جاء الشعراء المحدثون من أمثال بشار و مسلم بن الوليد و أبي نواس و أبي تمام فأكثروا منه في أشعارهم و قصدوا إليه ، كذلك استحدث مصطلحات لما ظهر من ألوان البديع في عصره و نقد ما أتى معيبا من كل نوع .

[1]-المرجع السابق ، ص :40 ، 43-45

من كل ما تقدم يتضح الدور الذي قام به الشعراء في بناء البلاغة و إثراء مباحثها ، و مما لا شك فيه أن ما عمله ابن المعتز كان أول محاولة علمية جادة في ميدان البديع تلقفها البلغاء و الأدباء من بعده و أضافوا إليها ما استكملوا به مباحث هذا العلم و قضاياه .

و جدير بالذكر أن كل الطوائف التي عرضنا لها بالقول حتى الآن من كتّاب و معلمين و متكلمين و فقهاء و مفسرين و لغويين و نحاة و شعراء قد أسهمت جميعها في نشأة البلاغة العربية .

حقا لم يكن هناك معالم واضحة و حدود فاصلة بين كل طائفة و أخرى ، نظرا لأن المعارف العربية كانت لا تزال وحدة متكاملة لم ينفصل بعضها من بعض . و لم يتحول بعد كل فرع منها إلى علم مستقل قائم بذاته. و لكن الحقيقة تبقى بعد ذلك أنهم جميعا ، على الرغم من هذا التداخل و التنوع و الإختلاط ، قد أسهموا مساهمة ملحوظة في بناء البلاغة و ارساء أصولها و قواعدها .[1]

و السؤال الذي يتبادر الآن إلى الذهن هو : هل كانت نشأة علم البلاغة نشأة عربية خالصة ؟

و للإجابة عن هذا السؤال نذكر أننا من خلال عرضنا لنشأة البلاغة العربية رأينا أنه وجدت لها جذور في العصر الجاهلي ، و أن هذه الجذور نماها الإسلام ، و نماها البحث و الجدل حول القرآن و إعجازه ، أعني حول تفهم مواضع الإعجاز في القرآن و تذوق بلاغته ، كما نماها أيضا ظهور الفرق الإسلامية المتعددة ، هذه الفرق التي راحت تعني بالبلاغة و فنونها من أجل الإستعانة بها و الإفادة منها في الاستدلال و البرهنة على آرائها و أفكارها الخاصة .

و لهذا ظلت البلاغة في دور نشأتها على الإجمال عربية خالصة ، تستمد عناصر مقوماتها من الثقافة العربية و ما يتصل بها ، و إذا كان قد تسرب إليها بعض عناصر بلاغية أجنبية ، من بلاغة

[1]-المرجع السابق ، ص: 46-47

الهند و الفرس و اليونان فإن ذلك كان في الأدوار التي تلت دور نشأتها . أعني في أدوار نموها و تعقدها في العصر العباسي ، عندما أخذت حركة النقل و الترجمة من الثقافات و الآداب الأجنبية تنشط على نطاق واسع برعاية الدولة أو رعاية الخلفاء و العباسيين من أمثال أبي جعفر المنصور و الرشيد و المأمون .[1]

و البلاغة العربية في نشأتها –كغيرها من علوم الطبيعة – ليست لها حدود تعرف بها ، و لا قضايا تختص بها دون غيرها ، و لا مصطلحات تقتصر عليها ، إنما كانت بابا من أبواب فن القول العربي في الجاهلية .و في ضوء ذلك لم يكن لها اتجاه عام ، بل ارتبطت بجهود أصحابها ، و كانت ملحوظاتهم جزئية غير معللة ، لكنها كانت مؤدية الغرض ، و مؤثرة في المتلقي .[2]

المبحث الثالث : رُواد البلاغة العربية

بعد أن تكلمنا عن نشأة علم البلاغة ، و بعد أن تتبعنا تدرج حياتها ، مع بيان العوامل المختلفة التي أدت إلى ذلك ، نتنقل الآن إلى عرض أهم روادها و المشتغلين بها في كل عصر من عصورها ، و سنقوم بالترجمة لهم ، و الإشارة إلى أهم مؤلفاتهم لا سيما تلك المتعلقة بمجال البلاغة ، و كذلك سنذكر المساهمة التي أسهم بها كل واحد منهم في إثراء العلم و تطوره و مدى تأثره بما قدموه

و سنحاول في عرضنا هذا أن نعطي صورة للجهود المتواصلة التي اضطلع بها كل عالم على مدى تعاقب الأجيال و العصور في سبيل بناء البلاغة العربية بشتى علومها المختلفة . وإن كانت البلاغة العربية في العصور المتأخرة ، و بفعل الظروف المختلفة و المتغيرة التي طرأت على أحوال المجتمع العربي ، قد نالها من نال سائر العلوم و الفنون الأخرى من جفاف الفكر و جموده ، إلا أن في العصر

[1]-المرجع السابق ، ص: 49 ، 50
[2]-البلاغة العربية ، د : عاطف فضل محمد ، ص : 17

الجديد ظهر هناك بوادر الإهتمام من علمائنا بالدراسات البلاغية و النقدية ، و هذا عده العلماء عامل من العوامل التي ساعدت على النهوض بالبلاغة العربية من كبوتها و رد الحيوية إليها حتى تستعيد قدرتها على ممارسة دورها الفعال في رقي الآداب العربية بعامة و الأساليب البيانية بخاصة .

و فيما يلي سنعرض بإيجاز أهم رُواد البلاغة العربية :

***الجاحظ** :

و الجاحظ ذلك المعتزلي الكبير يعدّ بحق مؤسس علم البلاغة العربية ، فهو أول أديب عربي توسّع في دراسة هذا العلم و أعطاه الكثير من نشاطه الأدبي و الفكري . و هو أول من جمع ما يتصل به من كلام سابقيه و معاصريه و شرحه ، و أضاف إليه ما عنّ له شخصيا فيه من أفكار وآراء .[1]

و الجاحظ هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنائي ولاء البصري مولدا و إليه تنسب الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة. و المؤرخون مختلفون في تاريخ مولده ، و لكنهم يكادون يتفقون على تاريخ وفاته و هو سنة (255هـ) ، و على أنه عاش نحو ست و تسعين سنة ، و على هذا يكون ميلاده سنة (159 هـ)

ولد الجاحظ في خلافة أبي عبد الله محمد المهدي بن المنصور (158-169 هـ) و توفي آخر خلافة المهتدي بالله بن الواثق (255 هـ). و في حداثته تتلمذ في اللغة و الأدب على أبي عبيدة و الأصمعي و أبي زيد الأنصاري . و في النحو على الأخفش . و في علم الكلام على أبي اسحاق ابراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور ، و زعيم طائفة المعتزلة ببغداد .

[1]-تاريخ البلاغة العربية ، د.عبد العزيز عتيق ، ص :51

و تاريخه في الواقع تاريخ قرن كامل و هو زهرة الدولة العباسية ، و كان من حظه ، و من حظ الثقافة العربية ، ان يعيش في العصر الذهبي للأمة ، عصر الرشيد و المأمون ، حيث العلوم و الآداب يومئذ تزخر بها معاهد العلم في سائر عواصم العالم الإسلامي ، و حيث حركة العلم و التأليف و الترجمة نشيطة .

و للجاحظ أسلوب يمتاز به ، و لا ينسب إلا إليه ، و هو أسلوب تظهر فيه شخصيته ظهورا تاما ، حتى يستطيع المرء أن يميزه و يعرف أي الكتب له و أيها ليست له ، و قد غلبت عليه النزعة الأدبية في كل ما كتب .

و قد خلف ما يقرب من ثلثمائة و ستين مؤلفا في فنون شتى من المعرفة ، من كتبه في علم الكلام : كتاب خلق القرآن ، كتاب الرد على المشبّهة ، كتاب النصارى ، كتاب الإعتزال ، و كتاب الإمامة .و من كتبه في السياسة و التاريخ : كتاب العرب و الموالي .

و كان يغشى مريد البصرة ، و يأخذ عن العرب شفاها ، و أولع بالقراءة إلى أحد أنه كان يكتري دكاكين الوراقين و يبيت فيها للنظر ، قالوا أنه لم يقع في يده كتاب إلا استوفى قراءته كائنا ما كان [1].

اتصل بالثقافة اليونانية عن طريق علماء الكلام ، و مشافهته لبعض مترجميها من أمثال حنين ابن اسحق ، كما أخذ الثقافة الفارسية عن طريق كتب ابن المقفع ، و توسع في الثقافات كلها بما كان يقرأ من الكتب التي تصل إلى يده ، و بالإضافة إلى ذلك كانت الرحلة وسيلة أخرى من وسائل استزادته من العلم و المعرفة .

[1]-المرجع السابق ، ص :51-53

و بعد كل هذا ، و إذا أردنا الإلمام بما توصل إليه الجاحظ بالنسبة للبلاغة و علومها ، يمكننا القول أنه أسهم مساهمة كبيرة في هذا الميدان ، و أثّر تأثيرا قويا على من جاء من بعده من رجال البلاغة ، حيث وضّح معنى البلاغة في العديد من النصوص المتعلقة بكتبه عامة و كتاب البيان و التبيين خاصة ، و نجده قد أولى إهتماما ملحوظا بالبيان العربي في كل ما كتب ، و كذلك إهتم أيضا بالبديع و قدّم معناه و عرض قضاياه .

و من خلال كل هذا فإن الجاحظ يعدّ بحق مؤسسا للبلاغة العربية و رائدها ، و قد كان له تأثيرا كبيرا على من جاء بعده من البلاغيين ، بفضل ما قدم للبلاغة و ما فتح فيها من جوانب ، و ما بث فيها من أفكار و آراء ذاتية ، فالجاحظ متعدد الجوانب ، غزير المادة ، و أصيل الفكر .[1]

*جعفر بن قدامة (قدامة بن جعفر) :

و هو أبو الفرج بن جعفر بن قدامة بن زياد ، المعروف بالكاتب البغدادي ، نشأ ببغداد نصرانيا ، ثم أسلم في حداثته على يد الخليفة المكتفي بالله كما يذكر ابن النديم ، و على أثر ذلك الحادث الهام في حياته انفسح أمامه مجال العمل و الأمل ، فأكبّ على دراسة العلوم الاسلامية ليعد نفسه لصناعة الكتابة التي احترفها أبوه من قبل ، و التي كانت تتطلب ثقافة عالية ، و كانت سلما إلى الوزارة نفسها .

فلما استوفى من ذلك حظا موفورا التحق بالديوان فتولى سنة 297 هـ مجلس الزمام ، في الديوان المعروف بمجلس الجماعة ، ثم راح يتقلب في الأعمال الديوانية حتى صارت إليه رياسة الكتاب على ما يظهر ، كانت وفاته سنة 337 هـ [2].

[1]-ينظر المرجع السابق ، ص : 118 - 138
[2]-تاريخ البلاغة العربية ،د.عبد العزيز عتيق ، ص : 143

و أما عن ثقافته ، كان قدامة من أوسع أهل زمانه علما و أغزرهم مادة ، أخذ بنصيب من ثقافة عصره الاسلامية ، فبرع في اللغة و الأدب ، و الفقه ، و الكلام ، و الفلسفة ، و الحساب ، و بذلك أصبح مثالا جميلا للعالم الإسلامي في أوائل القرن الرابع الهجري.

و أما عن مؤلفاته ، يدل ما وصل إلينا من مؤلفاته على تأثره الشديد بالثقافات الأربع التي كانت تقوم عليها يومئذ المدينة الاسلامية : العربية ، الفارسية ، اليونانية ، و الهندية .

و تمكنه من الثقافة العربية ظاهر في كتايه " نقد الشعر " و " كتاب الألفاظ" ، و أما تأثره بالثقافة الفارسية فيظهر في بعض فصول كتابه " الخراج" ، و تأثره بالثقافة اليونانية يَظهر واضحا في كتابيه " نقد الشعر " و " نقد النثر " ، وعن تأثره بالثقافة الهندية فيستفاد من براعته في الحساب و قد ذكر له إبن النديم و غيره ممن ترجموا إليه ما لا يقل عن عشرين مصنفا .

و عن مساهمته ، فقد أسهم قدامة مساهمة كبيرة في تطوير مباحث النقد و البلاغة ، و مهما كان القصد الذي دعاه غلى الخوض في قضايا البلاغة ، فإن جهوده في هذا المجال قد أسهمت كثير من مصطلحاتها و مباحثها و الإضافة إليها ، و كان في كل ذلك مادة خصبة بنى عليها العلماء من بعد و أفادوا منها في بحوثهم البلاغية .

و تظهر جهود قدامة البلاغية في أنه نظر في كلام من سبقوه إلى وصف البلاغة و تعريفها فلم يجد في كلام أحد منهم تعريفا جامعا مانعا للبلاغة يرتضيه ، و لهذا حاول هو أن يضع لها التعريف الجامع المانع .[1]

و من إتجاهاته في نقد الشعر ، محاولته وضع الأسماء ، و الألقاب ، و المصطلحات و تحديد مدلولاتها، و تصريحه بأنه مخترعها ، و دعوته إلى قبولها أو اصطناع غيرها [1].

[1]-تاريخ البلاغة العربية ،د.عبد العزيز عتيق ، ص : 143

و من إتجاهاته البلاغية أيضا : كلامه في صفات الألفاظ و مقاييس استحسانها و استهجانها و الوحشي منها و الغريب . و كل ذلك يدخل في باب الفصاحة الذي جعله البلاغيون مقدمة لدراستهم البلاغية .و موضوعات البلاغة التي عرض لها بالبحث فيمكن حصر كل ما يتصل منها بعلم من علوم البلاغة الثلاثة على حدة كالآتي :

*في علم المعاني : و مما عرض له قدامة بالبحث و عده البلاغيون فيما بعد من مباحث هذا العلم :

1.التتميم : و هو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته و تكمل معها جودته شيئا إلا أتى به .

2.الإيغال : جعله البلاغيون من ضروب الإطناب .

3.المساواة:عدّها قدامة من انواع إئتلاف اللفظ مع المعنى .

4.الإشارة : عدّها كذلك من أنواع إئتلاف اللفظ مع المعنى.

هذا ما عرض له من مباحث علم المعاني في كتابه " نقد الشعر " أما في كتابه الآخر " نقد النثر " فقد تكلم عن التقديم و التأخير ، و الحذف الذي تستعمله العرب للإيجاز ، و عن القطع و العطف الذي أطلق عليه البلاغيون فيما بعد " الفصل و الوصل "

في علم البيان : و مباحث علم البيان التي عرض لها هي :

1.التشبيه : تكلم عنه في كتابيه نقد الشعر و نقد النثر ، و أبان قيمته البلاغية و ذكر بعض أقسامه

[1]-ينظر المرجع السابق : ص : 146-147

2.الإستعارة : أشار إليها في كتابه نقد الشعر عند كلامه عن " المعاظلة " التي عرفها بأنها فاحش الإستعارة.

3.الكناية و التعريض : تكلم عنهما في كتابه نقد النثر تحت إسم " اللحن " و عدّهما شيئا واحد .[1]

*في علم البديع : و مساهمة قدامة في هذا المجال جاءت مع ابن المعتز في وضع الأساس من طريق غير مباشر ، فهو يعد ثاني اثنين وضعا علم البديع ، بعد ابن المعتز.

و تناول قدامة لفنون البديع جاء في معرض الحديث عن جيّد الشعر و رديئه، على أنها من نعوت الحسن في المعنى أو اللفظ، و مهما يكن الباعث الذي دعا قدامة إلى الخوض في قضايا البديع فإنّ مساهمته في هذا العلم قد خطت به خطوة فسيحة إلى الإلمام و أثارت اهتمام العلماء و الأدباء من بعده إلى التوّسع في دراسته و الكلام عنه و الزيادة في فنونه.

و المحسنات البديعية التي عرض لها في تضاعيف كتابيه بلغت أربعة عشر محسنا بديعيا و هي :الترصيع ، و الغلو ، و صحة التقسيم ، و صحة المقابلات ، و صحة التفسير ، و صحة التتميم و المبالغة ، و الإشارة ، و الأرداف ، و التمثيل ، و التكافؤ و التوشيح ، و التصريع ، و الإلتفات .و هذه هي مسائل المعاني و البيان و البديع التي عرض لها قدامة في كتبه ، و هي بلا ريب جهود قيمة أسهم بها في تطوير علوم البلاغة و النهوض بها ، و قد أفاد البلاغيون من بعده كثيرا منها ، و يستطيع المتصفح لكتب البلاغيين من بعده أن يدرك مقدار تأثّرهم بجهودهم البلاغية و إفادتهم منها .[2]

[1]-ينظر المرجع السابق ، ص: 149،150
[2]-المرجع نفسه، ص :151-152

*الآمدي :

يعد الآمدي من أئمة الأدب و هو أبو القسم الحسن بن بشر الآدمي المتوفي سنة 371 للهجرة ،كان كاتبا شاعرا و أديبا ناقدا ، على إتساع تام في علم الشعر و معانيه ،و إليه انتهت رواية الشعر القديم و الإخبار في آخر عمره بالبصرة .

و قد أخذ النحو و اللغة من أعلامها في عصره من أمثال : علي بن سليمان الأخفش و الزجّاج ، و بن دريد ،ترجم لها ابن النديم في كتابه " الفهرست" ، و قال عنه :" مليح التصنيف ، جيد التأليف ، متعاط مذهب الجاحظ فيما يعمله من الكتب " و ذكر له عشرة كتب، و أطالها ياقوت الحموي إلى ثلاثة عشر كتابا . و معظم هذه الكتب في الموازنة بين الشعراء و النقد و معاني الشعر و اللغة و السرقات ، و منها : [1]

كتاب الموازنة بن أبي تمام و البحتري ، و كتاب تفضيل شعر امرئ القيس على الجاهليين ، و كتاب ما في " عيار الشعر " لإبنطباطبا من الخطأ ، و كتاب الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام. و كتاب معاني شعر البحتري ، و كتاب المختلف و المؤتلف في أسماء الشعراء ، و كتاب فرق ما بين الخاص و المشترك من معاني الشعر الذي عالج فيه المعاني التي تشترك العرب فيها و لا ينسب مستعملها إلى السرقة ، و المعاني الخاصة التي ابتدعها الشعراء و تفردوا بها و كتاب الحروف من الأصول في الأضداد ، و كتاب فعلت و أفعلت الذي يقول عنه ياقوت :" غاية لم يصنف مثله " ، و ديوان شعره .

[1]-تاريخ البلاغة العربية ، د.عبد العزيز عتيق ، ص: 153

***كتاب الموازنة:**

و كتاب الموازنة بين الطائيين : أبي تمام حبيب بن أوس (231 هـ) و أبي عبادة البحتري (424 هـ) هو أهم كتبه و أهميته تأتي من جهة أنه نموذج من نماذج النقد الأدبي في القرن الرابع ، و قد جزأ المؤلف كتابه هذا إلى أربعة أجزاء .و من خلال تطلعنا على هذا الكتاب و قيمته تتضح لنا جهوده الكبيرة و إضافاته في الجانب البلاغي و إسهاماته في هذا الميدان .

و من العناصر البلاغية التي عرض لها : الإستعارة ، و كذلك نراه قد أدخل في ميزان نقده بعض فنون البديع من التقسيم ، و الجناس ، و الطباق ...[1]

***الرماني :**

و من علماء القرن الرابع الذين بحثوا في البلاغة أبو الحسن الوراق على يد بن عيسى الرماني " 276-384 هـ " أخذ النحو و اللغة عن ابن السراج و ابن دريد و الزجاج ، و أخذ علم الكلام عن ابن الأخشيدالمتكلم ، و لهذا كان متكلما عن مذهب المعتزلة .

كان اماما في علم العربية ، علامة في الأدب في طبقة أبي علي الفارسي ، و أبي سعيد السيرافي و كان يمزج كلامه في النحو بالمنطق .

و للرماني تصانيف كثيرة تزيد عن عشرين كتابا أكثرها في النحو و الصرف و الاشتقاق و اللغة و الباقي في التفسير و الفقه و الكلام على رأي المعتزلة . و من كتبه المتصلة بالبلاغة رسالة " إعجاز القرآن " ، يسميها البعض " النكت في إعجاز القرآن "،و يقال أنه كتبها تلبية لشخص طلب إليه تفسير تلك النكت في إيجاز .

[1]-ينظر المرجع السابق ، ص : 166-173

و في هذه الرسالة يقسم الرماني البلاغة ثلاث طبقات : عليا و وسطى و دنيا ، و العليا هي بلاغة القرآن ، و الوسطى و الدنيا بلاغة البلغاء على تفاوت فيها .

بعد ذلك يعرض لأقسام البلاغة فيذكر أنها عشرة أقسام هي : الإيجاز ، و التشبيه ، و الإستعارة ، و التلاؤم ، و الفواصل ، و التجانس ، و التصريف و التضمين ، و المبالغة ، و حسن البيان ، ثم ينتقل إلى تفصيل الكلام عن كل قسم فيعرفه و يقسمه مع التوضيح بالأمثلة .[1]

و بعد فحديث الرماني هذا المتكلم المعتزلي عن البلاغة قليل منه قد استوحاه من سابقيه و كثيره قد آتى به من ذات نفسه فأضاف به إضافات جديدة للبلاغة تتمثل في تحديد بعض فنونها تحديدا نهائيا ، و بيان أقسام هذه الفنون بوضوح ، و هذا الجهد في التطوير ليس بالقليل ، و قد أفاد منه البلاغيون من بعده كما تشهد بذلك كتبهم .[2]

***القاضي الجرجاني :**

هو أبو الحسن علي ابن عبد العزيز الجرجاني الفقيه الشاعر ، و الأديب الناقد ، صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي و خصومه .

ولد أبو الحسن في جرجان سنة 290 هـ ، و في صباه رحل إلى العراق و الشام ، و اقتبس من أنواع العلوم و الآداب ما صار به في العلوم علما و في الكلام عالما ،إختّص بالصاحب بن عباد و نظم فيه المدائح و حظي عنده بمنزلة رفيعة ، و تقلد قضاء جرجان من يده ، و لم يعزله عنه إلا موته سنة 392 للهجرة .

[1]-المرجع السابق ، ص: 174 - 176
[2]-ينظر ، تاريخ البلاغة العربية ، د.عبد العزيز عتيق ، ص: 177

للقاضي الجرجاني عدّة تصانيف غير " الوساطة " و غير " ديوان شعره " منها : "تفسير القرآن المجيد" و كتاب " تهذيب التاريخ " ، نقل الثعالبي منه فصلين في كتابه " اليتيمة " ،" كذلك جاء في طبقات الشافعية أن القاضي الجرجاني صنف كتابا في " الوكالة " فيه أربعة آلاف مسألة ، ولكّنه مفقود .

و من الأساليب البيانية التي عرض لها أسلوب " الاستعارة " ثم يستطرد من ذلك إلى التفرقة بين الإستعارة و التشبيه ، و كلامه عن التشبيه يأتي استدعاء في ثنايا حديثه عن سرقات المتنبي كذلك عرض إلى أغراض الشعراء من التشبيه ففي هذه النظرة الثابتة فتح القاضي بابا جديدا لدراسة وجه الشبه.

و من فنون البديع التي عرض لها أيضا " المطابقة " و عرض أشهر أقسامها بإيراد الشواهد عليها ، و كذلك عرض " التجنيس" و قد ذكر منه أربعة أنواع : المطلق ، المستوفي ، الناقص ، و المضاف ، و عرض أيضا إلى " الإلتفات " ، و من البديع عنده كذلك براعة الاستهلال و التخلّص و الخاتمة .

تلك أهم الأصول البلاغية التي عرض لها الجرجاني في وساطته بين المتنبي و خصومه ، و قد استطرد عند استخدام هذه الأصول في نقده إلى توضيح بعض جوانبها أو الإضافة إليها إضافات تأثر بها و أفاد منها المتأخرون عنه في بحوثهم النقدية و البلاغية .[1]

* أبوهلال العسكري : يعتبر من أدباء القرن الرابع ، عاصر قدامة و عاش بعده ما يقرب من نصف قرن، حاول في واحد من أهم مؤلّفاته ، و أعنى به كتاب " الصناعتين – الكتابة و الشعر–) ان يحقّق هدفين : أحدهما أن يتم في

[1]-ينظر المرجع السابق، ص : 179 - 190

توسع ما بدأه قدامة من بحث صناعة الشعر و نقده ، و الثاني الآ يقف بالبحث الادبي عند حد الشعر و إنما يتعداه إلى بحث صناعة الكتابة أو النثر بصفة عامة .و أبو هلال هو الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري المتوفي سنة 395 هـ ، و العسكري نسبة إلى مدينة " عسكر مكرم " من كور الأهواز بين البصرة و فارس . و كان من أبنائها علماء أعلام خدموا الثقافة العربية و أضافوا إليها ما لديهم من معارف ، و من هؤلاء العلماء أبو أحمد العسكري المحدث " 293 -282 هـ " خال أبي هلال و أستاذه .

و قد غلب الأدب و الشعر على أبي هلال إنتاجا و تأليفا ، و كتبه المنشورة بين الناس تدل على تمكنه من علوم العربية أو علوم الأدب الثمانية و هي : اللغة ، النحو ، الصرف ، العروض ، القوافي ، صنعة الشعر ، اخبار العرب ، و أنسابهم .و مؤلفاتُه تدلّ على غزارة انتاجه و تنوعه ، فقد خلف لنا 20 كتابا عالج فيها كما يفهم من أسمائها ، موضوعات شتى في اللغة و الأدب و البلاغة و النقد و التفسير . و كلها تنم عن ثقافته و ثقافة العصر الذي يعيش فيه . على أن ما انتهى إلينا من إنتاجه العلمي لم يزد حتى الآن على ثلاثة كتب هي :" كتاب الصناعتين – الكتابة و الشعر " و كتاب " ديوان المعاني " من جزأين ، و كتاب لغوي اسمه " معجم بقية الأشياء " أما بقية كتبه فلا يزال الموجود منها مخطوطات في مكتبات العالم تنتظر من يتوفر عن تحقيقها و نشرها .

كان أبو هلال في عصره إذن اماما في العلم و الأدب إماما وعي الكثير من معارف سابقيه و أضاف إليه ، و أثّر بكل ذلك فيمن جاء بعده . و كتابه " الصناعيتن – الكتابة و الشعر " يضم عشرة أبواب مشتملة على ثلاثة و خمسين فصلا في 462 صفحة .[1]

[1]-ينظر المرجع السابق ، ص : 190

و قد استهل أبو هلال كتابه بمقدمة أشاد فيها بفضل علم البلاغة ، مقررا أنه أحق العلوم بالتعلم و أولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله لأن به يعرف إعجاز القرآن ، كما يشير إلى أسباب تأليفه هذا الكتاب .[1]

و المتصفح لكتاب " الصناعتين " يرى أن المؤلف قد ألم فيه تقريبا بكل ما عرف إلى عصره من مباحث علوم البلاغة الثلاثة : المعاني و البيان ، والبديع . و نتيجة لذلك جاءت فنون البديع في مكان معين من " الصناعتين " أما مباحث البلاغة و الفصاحة و المعاني و البيان فقد وردت فيه أبوابا و فصولا غير متصلة ، و لكن حسب مقتضيات المنهاج الذي رسمه أبو هلال لنفسه في تأليفه ، فجهوده في هذا الكتاب تتمثل فيما أفاده من معارف سابقيه البلاغية ، و لا سيما الجاحظ و قدامة و كذلك فيما أضافه هو إليها من فكره الخالص ، مع التنظيم و التبويب ، و كثير من الشرح و التحليل ، و التعليق و النقد .[2]

***القاضي البقلاني :**

يعد من علماء القرن الخامس الذين أسهموا بشكل أو بآخر في تطوير المباحث البلاغية ، و هو صاحب كتاب " إعجاز القرآن " ، و هو أبو بكر محمد بن الطيب البصري المتوفي سنة 403هـ. و هومعدود من أعلام المتكلمين على مذهب الأشاعرة ، و كان يلقب بشيخ السنة و لسان الأمة .

نشأ في البصرة و تثقّف ثقافة عربية إسلامية منوّعة على كبار علماء عصره . و لي البقلاني القضاء ، و لكن أمرين آخرين استأثرا به و وقفتعليهما حياته ، و هما التعليم و التأليف. ولم يصلنا من آثاره العلمية غير ثلاثة كتب :" التمهيد " و هو من أهم الكتب الكلامية التي يعتز بها أهل

[1]- المرجع السابق، ص:192-199
[2]- ينظر المرجع نفسه ، ص: 212-214

السنة ، و كتاب " رسالة الحرة " و قد طبع تحت اسم "الإنصاف " و كتاب " إعجاز القرآن " و هو الكتاب الذي له علاقة وثيقة بتاريخ البلاغة. أمّا بقيّة كتبه فمنها ما هو مفقود ، و منها لا يزال مخطوطا في مكتبات الشرق و الغرب ينتظر منا من يبعثه من مرقده بالتّحقيق و النشر .

و عن آراء العلماء فيه ، فقد أجمع أغلب العلماء على علمه و فضله ، و من هؤلاء :" ابن عساكر ، و الصاحب ابن عباد، ابن تيمية ، و لعله العالم الوحيد الذي كثرت ألقابه ، فقد كان يلقب " بشيخ السنّة " و " لسان الأمّة " و " صارم الإسلام " و " درّة الإسلام " . و يعدّ كتابه " إعجاز القرآن " من خير ما ألّف في موضوعه. [1]

***ابن رشيق :**

و من رجال القرن الخامس كذلك الأديب المغربي أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني أحد بلغاء القيروان و شعرائها . ولد بالمسيلة و قيل بالمحمدية سنة 390 للهجرة ، من أب رومي من موالي الأزد ، كان يحترف " الصياغة " في بلده ، و قد تعلّم الإبن في صباه صنعة أبيه، و قرأ الأدب بالمحمدية، و قال الشعر ، ثم تاقت نفسه إلى الاستزادة منه ، و ملاقات أهل الأدب ، فإرتحل إلى مدينة القيروان و عمره ستةعشرة سنة ، و هناك حد في طلب العلم و الأدب ، و نظم الشعر حتى على شأنه .

و لم يزل ابن رشيق ينظم الشعر و يصنّف و يؤلّف إلى أن هجم العرب على القيروان و قتلوا أهلها و خرّبوها ، عندئذفرّ ابن رشيق عنها إلى جزيرة صقلية و نزل " بمازر " إحدى مدنها على أميرها و متوليها " ابن مطكود" فأكرمه و إختصّه ، و قرأ عليه كتبه ، و لم يزل عنده إلى أن مات "بمزار" سمة 456 و قيل 463 للهجرة .

[1]-ينظر المرجع السابق، ص :212-214

و لإبن رشيق مصنفات منها : قراضة الذهب في صناعة الأدب ،و كتاب " الشذوذ" في اللغة، ذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها ، عربية في معناها ، و كتاب " الانموذج" في شعراء القيروان و " المساوي في السرقات الشعرية " و كتاب " العمدة " في مجالس الشعر و آدابه ، او في صناعة الشعر و نقده و عيوبه .

و كتاب " العمدة " هو انموذج من نماذج كتب النقد في القرن الخامس يقوم على أسس بلاغية فهو يكشف عن الأصول البلاغية التي استعان بها ،و مدى جهوده في تطويرها .[1]

***ابن سنان الخفاجي :**

و من علماء القرن الخامس الذين ميزوا أنفسهم في ميدان البلاغة أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي الشاعر المشهور.

أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري و غيره ، و سمع الحديث و برع فيه ، و كان يرى رأي الشيعة ، و مات مسموما بقلعة " عزاز" من أعمال حلب سنة 466للهجرة على يد صديقه أبي نصر محمد بن الحسن بن النحاس وزير محمود بن صالح .

و للخفاجي ديوان شعر مطبوع في بيروت ، و هو صاحب كتاب " سر الفصاحة " الذي تكلّم فيه عن " الفصاحة " من جهة نظره ، و كذلك عما تضمّنته من فنون البيان و البديع .

و مما يتّضح لنا أن الخفاجي قد عالج فنون البديع و أساليب البيان و البلاغة في ثنايا كلامه عن " سر الفصاحة " الذي يتمثل عنده في حسن اللفظ و حسن المعنى [2].

[1]-ينظر المرجع السابق ، ص : 236-244
[2]-ينظر المرجع نفسه ، ص : 244

و قد كان له بالإضافة إلى ذلك ملاحظاته و آراؤه الخاصة التي نشرها في ثنايا كتابه على حسب المناسبات و المقتضيات . و هذه بلا شك تحسب له ، و كفيلة بأن تسلكه في عداد الرعيل المتقدم من العلماء ، أجل في عداد أولئك الذين خدموا البلاغة العربية ، و ارتقوا بمباحثها . و أثروها بعلمهم و أفكارهم .[1]

***عبد القاهر الجرجاني :**

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني توفي سنة 471 للهجرة ، نحويّ و متكلّم ولد بجرجان من أسرة رقيقة الحال ، نشأ ولوعا بالعلم ، محّبا للثقافة فأقبل على الكتب يلتهمها و خاصة كتب النحو و الأدب . أخذ العلم عن أبي الحسين محمد الفارسي ، كما أخذ الادب على يد القاضي الجرجاني ، و قرأ كتابه " الوساطة بين المتنبي و خصومه " ، تتلمذ على آثار الشيوخ و العلماء الذين أنجبتهم العربية ، فنحن نراه في كتبه ينقل عن سبويه و الجاحظ و أبي علي الفارسي .

نشأ عبد القاهر في القرن الخامس ، و هو قرن بدأ الضعف فيه يدب إلى اللغة ، و هي لا تزال في عنفوان شبابها ، و أوج نهضتها و ازدهارها ، و لعل هذا ما أشفق منه عبد القاهر على أساليب اللغة ، و حفزه على تأليف " دلائل الإعجاز " و " أسرار البلاغة " الذين أودعهما قواعد البيان و المعاني .

و المنهاج الذي رسمه لنفسه و الذي يكاد يكون أول منهاج علمي في البحث ، هو المنهاج الذي أخذ بنفسه ، و جمع فيه لأوّل مرة مباحث علم البيان بعضها إلى بعض ، و رتّبها من حيث الكلام عنها ترتيبا منطقيا منظّما ، يبدأ فيه بالعام قبل الخاص ، و بالأصل يتلوه الفرع ، مع العناية بتوضيح ما بين التشبيه و التمثيل من فروق ، و باستقصاء القول في الاستعارة .

[1]-ينظر المرجع السابق ، ص : 247-256

و القضايا البلاغية التي تطرّق لبحثها و عرضها في كل مبحث من مباحث علم البيان هي : الحقيقة و المجاز ، و التشبيه ، و الاستعارة ، و الكناية .

و عن مباحث علم المعاني التي عرض لها عبد القاهر على نحو استحّق به أيضا أن يعدّ المؤسّس الأوّل " لعلم المعاني " فترتبط أكثر ما ترتبط بكتابه دلائل الإعجاز . أما فنون البديع ، فلم ترد عنده إلا بالقدر الذي تطلّبته أوجه الاستدلال على نظريته في (النظم) القائلة بأن جمال الكلام يكمن في نظمه و أسلوبه ، و لهذا عرض للجناس و السجع فقط ،و أيضا " حسن التعليل "[1].

و الطريقة التي سَار عليها في تأليف كتابيه :" دلائل الإعجاز " و " أسرار البلاغة "و امتاز بها عن كتب البلاغة الأخرى . فهيطريقة تجمع بين العلم و العمل الذي يثبت به العلم.

ذلك هو الإلمام عبد القاهر الجرجاني الذي ازدهرت البلاغة العربية على يده في القرن الخامس للهجرة ، و رسم حدودها و أبعادها ، و أقام على الطريق معالمها ، و بثّ فيها من فكره الخصب و ما أثراها و أضاء جوانبها [2].

***الزمخشري :**

هو الإلمام أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ظهر في القرن السادس ، و فاق علماء عصره بآثارهالعلمية ، و كان أكثر من أفادوا من بلاغة الإمام عبد القاهر الجرجاني .

ولد بقرية زمخشر سنة 467 هـ ، و تتلمذ على أكابر علماء عصره في شتّى علوم اللغة و النحو و الأدب و التفسير و الحديث و الفقه و الأصول و الكلام ، و كان معتزلي المذهب مهاجرابه.

[1]-ينظر المرجع السابق ، ص : 247-256
[2]-ينظر تاريخ البلاغة العربية ، د.عبد العزيز عتيق ، ص :257

و للزمخشري من المصنّفات ما فوق الأربعون كتابا في النحو و اللغة و الادب ، و الامثال و المقامات ، و الفقه ، و الأصول ، و التفسير ، و الحديث ، و الأحاجي و الألغاز ، و له دواوين في الخطب و الرسائل و الشعر ، و شروح لبعض الكتب كشرحه لكتاب سبويه ، و شرحه لمقاماته .و من مؤلّفاته التي وصلت إلينا " المفصّل " في النحو ، و " مقامات الزمخشري" في التصوّف ، " و أساس البلاغة " و هو معجم لغوي ، و كتاب الكشّاف.

و الزمخشري ناثر ، شاعر مرموق ، و أسلوبه في النثر الفني بديع رائع ، يغلب عليه السجع الخالي من التكلّف ، و قد توفي سنة 538 هـ . حيث تتلمذ على يد عبد القاهر في كتابيه دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة . و إذا تتبّعنا جهوده البلاغية في كتابه " الكشاف " في تفسير القرآن فإننّا نجده يستمدّها من بلاغة عبد القاهر و قواعده ملتمسا لها الشواهد من آي الذكر الحكيم ، و مضيفا إليها ما يعّن له من آراء و تقسيمات و تعريفات .

فمساهمة الزمخشري في علم المعاني و علم البيان و علم البديع خاصة هي مساهمة لم يكن القصد منها خدمة مباحث هذا العلم بمقدار ما كان القصد منها بيان أثرها في بلاغة القرآن و إعجازه .[1]

***الوطواط :**

هو رشيد الدين العمري المتوفي سنة 573 هـ ، ألّف في البلاغة الفارسية كتابا سماه " حدائق السحر في دقائق الشعر " و هو من رجال البديع الذين ظهروا في القرن السادس ، و الكتابمحاولة دقيقة لتطبيق فنون البديع العربي على الأدب الفارسي ، و قد استعان الوطواط على توضيح هذه

[1]-ينظر المرجع السابق ، ص: 258، 265

الفنون بأمثلة و شواهد من الشعر و النثر في الأدبين العربي و الفارسي ، و كذلك بشواهد من أشعاره هو بالعربية .[1]

***أسامة بن منقذ:**

رجل البديع الثاني في القرن السادس فهو أبو المظفر أسامة بن مرشد بن منقذ المتوفي سنة 584 هـ . و هو من أكابر بني منقذ و شجعانهم و علمائهم ، و له تصانيف عديدة في فنون الأدب منها : كتاب القضاء ، كتاب الشيب و الشباب ، كتاب ذيل يتيمة الدهر للثعالبي ، كتاب تاريخ أيامه ، كتاب في أخبار أهله ، كتاب البديع في نقد الشعر ، و هذا الكتاب يشتمل على خمسة و تسعين بابا ذكر فيه أسامة كثيرا من المحسنات البديعية .[2]

***الرازي :**

يعدّ من علماء القرن السابع و هو فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفي سنة 606 هـ ، و صاحب المصنّفات الكثيرة في تفسير القرآن ، و الفقه ، و علم الكلام ، و الطب ، و الكيمياء ، و هو يمتاز في تأليفه بدقّة التفكير و قوة المنطق ، و القدرة على تشعيب المسائلو ضبط أقسامها . و بهذه الطريقة اتجه في تأليفه إلى البلاغة بإعتبارها مدار الإعجاز في القرآن ، فألّف فيه كتاب " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز "

و هو كما يقرر الرّازي في مقدّمته محاولة من جانبه قصد بها تلخيص كتابي عبد القاهر و ذلك بجمع ما فيهما من قواعد المعاني و البيان و تبويبها موضوعيا ، و حصر كل ما يندرج تحت كل موضوع من تقسيمات و تفريعات ، و لكنّنا نرى في الكتاب أيضا تلخيص لكثير من فنون البديع

[1]-تاريخ البلاغة العربية ، د.عبد العزيز عتيق ، ص : 266
[2]-ينظر المرجع نفسه ، ص: 267

التي أوردها الوطواط في كتابه . كما نرى أيضا استرشادا بما كتبه الزمخشري في " الكشاف" و بما كتبه الرمّاني في كتابه " النكت في إعجاز القرآن " [1].

*السكاكي : هو

سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي المتوفي سنة 626 هـ . إحترف صناعة المعادن حتى الثلاثين من عمره ، ثم خطر له أن يخلص للعلم فتفرغ له ، و أكبّ على دراسة الفلسفة و المنطق و علم الكلام و الفقه و أصوله ، و علوم اللغة و البلاغة حتى أتقنها .[2]

و السكاكي معدود من أعيان رجال البلاغة في القرن السابع ، و له مؤلفات شتى ، منها :" كتاب مفتاح العلوم " الذي يعدّ اهّم كتبه ، و ما أعطاه لعلوم البلاغة هو تلخيص دقيق يجمع فيه بين أفكاره الخاصة و أفكار البلاغيين من قبله ، و قد صاغ ذلك كله صياغة مضبوطة محكمة بقدرته المنطقية في التعليل و التجريد و التعريف و التقسيم و التفريع و التشعيب .

و هو في سبيل استنباط القواعد و القوانين قد استخدم المنطق بأصوله و ألفاظه و أسلوبه الجاف الذي لا يحوي أي جمال ، فقد كان همّه أن يقنّن البلاغة و يقعّدها كسائر العلوم الأخرى و هذا أمر يستعان عليه بالمنطق .

و قد عرض لموضوعات البلاغة (علم البيان ، علم المعاني ، علم البديع ، الفصاحة و البلاغة) في القسم الثالث في كتابه " مفتاح العلوم" . مستعملا في ذلك أسلوبا علميا عسرا يكدّ الذهن و يجبره في الوصول إلى المرادمنه. و بهذا خرج بمباحث البيان من جو البلاغة الواضحة السمحاء إلى ميدان المنطق المعقّد الجاف ! و مع ذلك فقد نال القسم الخاص بالبلاغة من كتابه

[1]-ينظر السابق ، ص: 268
[2]-ينظر المرجع نفسه ، ص: 280

شهرة فائقة إلى من جاء بعده من رجال البلاغة. و لهذا ظلّوا قرابة خمسة قرون متتالية ابتداءا من أوائل القرن السابع الهجري عاكفين على دراسته و شرحه و تلخيصه.[1]

***ضياء الدين بن الأثير :**

هو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد الشيباني المعروف ابن الأثير الجزري الملقّب بضياء الدين . كان مولده بجزيرة ابن عمر و بها نشأ ثم إنتقل مع والده إلى الموصل ، و فيها اشتغل و حصّل العلوم و حفظ القرآن و كثير من الأحاديث البنيوية.و قد توفي ببغداد سنة 638 هـ و ضياء الدين بن الأثير هو شقيق مجد الدين بن الأثير ، و عز الدين بن الأثير و أبناء الأثير الثلاثة هؤلاء اشتهر كل منهم بفن من الفنون .

و ضياء الدين بن الأثير هو كما عرفنا كاتب أديب ، و مؤلفاته كلها في الأدب و الرسائل و البيان و صناعة الكلام ، و أهم مؤلفاته كتاب " المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر "

أما عن مناهجه فنراه ينحو منحى مدرسة الجاحظ فيتوسّع في مفهوم علم البيان بحيث يشمل أيضا مباحث علم المعاني و البديع ، و يعالج مباحث هذه العلوم ككّل مترابط .

و من كل هذا يتبيّن لنا أن مساهمة ابن الأثير في تطوير المباحث البيانية عن طريق المادة البلاغية التي أضافها إليها مساهمة قيّمة ، و أن الطريقة التي سلكها في معالجة هذه المادة و عرضها طريقة تخالف بلا شك طريقة السكاكي التي قصد بها إلى تأصيل قواعدا البلاغة و صبّها في قواعد منطقية جافة .[2]

[1]-ينظر المرجع السابق ، ص: 287-292
[2]-ينظر المرجع نفسه ، ص: 290-292

المبحث الرابع : المدارس البلاغية

إن الدّرس البلاغي عند العرب كان أثرا الحركة فكرية بيانية امتدّت عدة قرون بدءا من العصر الجاهلي مرورا بالعصرين الإسلامي و الأموي إلى غاية تفشّي النزعة الكلامية و كانت بيئة خصبة للبلاغة . و مع هذه الاستمرارية و التيّارات و العوامل الكثيرة و المختلفة استطالت الحركة البلاغية و استعرضت فوسعت العلوم الأخرى و أثبَتَت لنفسها المثالية و الفوقية ، و كانت هذه بمثابة نقطة الانعطاف التي عندها ستركن البلاغة إلى الجمود – فصارت كما يقول لوسبورغْ (lusberg) :" هي الوسيلة القارة التي يعبّر عنها الكلام " [1]فلم يكن يقصد سوى سطوتها السابقة على الإنتاج الأدبي .

و نشير إلى أنّ الدّرس البلاغي بلغ منتهى العطاء و الحيوية على يد الإمام عبد القاهر الجرجانيمن خلال كتابيه : (أسرار البلاغة و دلائل الإعجاز) فكان درسه البلاغي (مسلك من يؤسّس معرفة ، و ليس مسلك من يشرح كلام غيره أو يقتبس من تراث الآخرين و يلصقه بتراثه أو يداخله فيه ،و يزعم أنه مجدّد. إنه دفع للمعرفة خطوة جديدة على دربها . [2]على أن كثيرا أولائك الذين يزعمون أن عبد القاهر كان يتمحّلُ في آرائه لإشباع نزواته المنطقية التي درسها من الفلسفة اليونانية . و يقول محمد أبو موسى في رده على هؤلاء :" و لا أجد في الأغاليط الجارية في حياتنا الفكرية أغلوطة عارية شوهاء كتلك التي ترمي هذا الإمام الجليل المنقطع المبدع لأنه تلميذ لليونان . و شيوعها يعني فقد الإحساس طبع العقل المبدع ، و هذه بلوى .[3]

[1]-رسالة ماجيستير ، تخصّص البلاغة الأسلوبية ، تحت عنوان : ابن حميدس الصقلي ، دراسة بلاغية و أسلوبية في الديوان للطالب : يوسف بلعيد ، السنة الجامعية : 1429-1430 هـ / 2008-2009 م ، ص 4 ، تحت إشراف الأستاذ : د: عبد اللطيف شريفي

[2]-المرجع نفسه : ص : 4

[3]-المرجع نفسه ، ص : 4

و يمكن أن نشير إلى أهم المدارس البلاغية عند العرب بالمخطط التالي :[1]

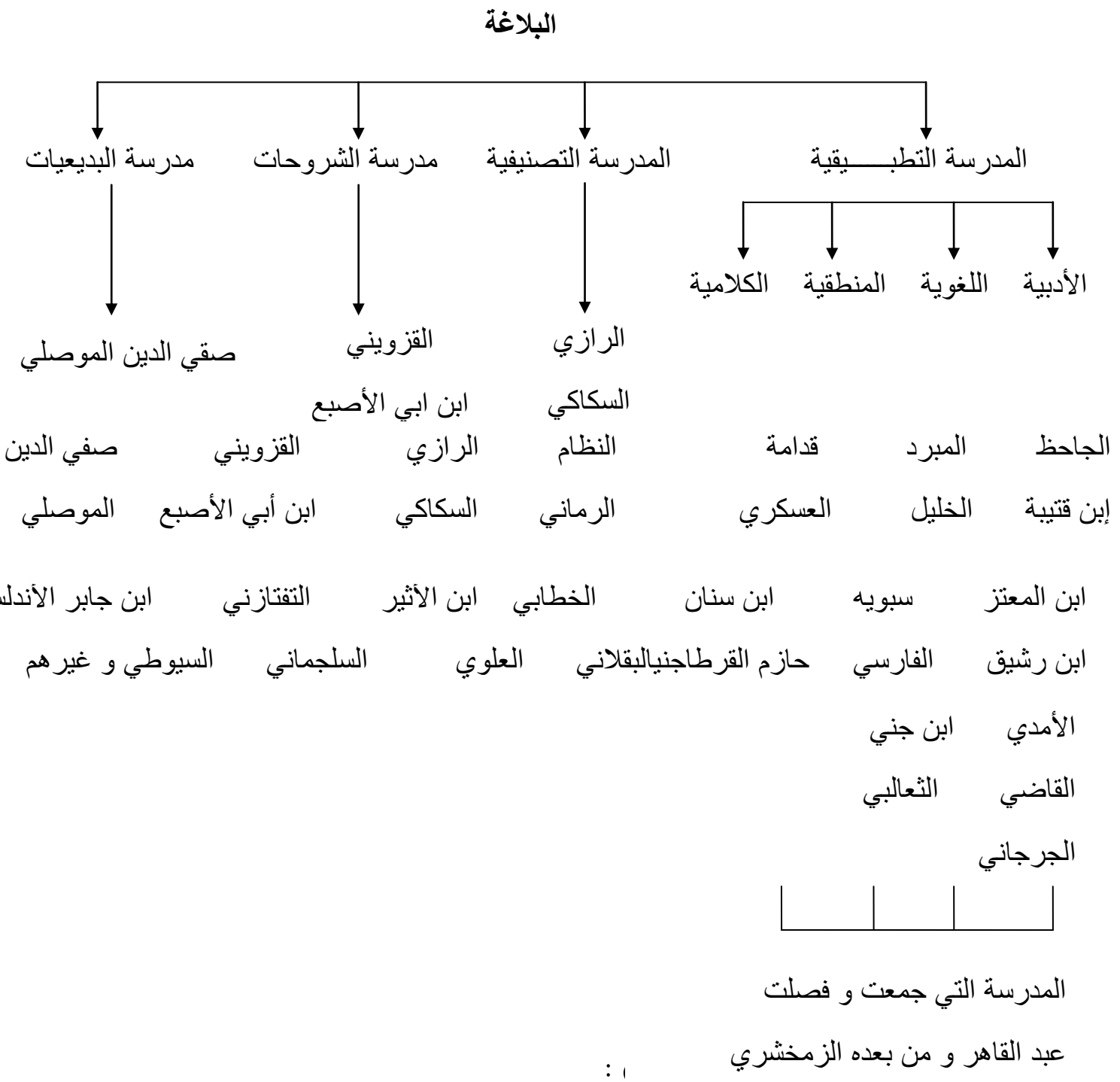

[1]-المرجع السابق : ص:5

إنّ رأس هذه المدرسة الكلامية كان من فضله أن جمع شتات الأبحاث البلاغية عن كتب أصول الفقه و النحو .و حدد موضوعات كل علم . هذه ميزة ثانية أنه حدد المصطلحات و وضّح مفاهيمها كما أوضح عرض موضوعاته متمثلا لها بأمثلة تعليمية غير أدبية .لكن الهدف كما نعلم تعليمي ميزة أخرى أن هذه المدرسة لم تنكر الذوق و إن كانت تفتقده في تطبيقها العملي . لما تؤصله من نقاش نظري .

هذه بعض الايجابيات أما السلبيات فنلقي فيها مثلا إدخال بعض أبواب النحو في موضوعات علم المعاني بحيث بدا النحو طاغيا على علم المعاني .

أمر ثان هو هذه السفسطة اللفظية حول معاني العبارات و تفسيراتها و استغلالهم المنطق و ما أتيح لهم من رياضة عقلية في هذا المجال . ثم كلفهم بالأمثلة التعليمية . و بعدهم عن كثير من النصوص الأدبية الرائعة .

فلقد كان بين أيديهم كتب الفلسفة العربية الذوقية مثل كتب عبد القاهر و لكن كان فهمهم يقصر أحيانا عن لمح ما يقصده عبد القاهر و إلى هذا يشير التفتازاني في نقده للقزويني .كذلك افتراضاتهم للمحال و صرح بهذا التفتازاني و كأنهم أرادوا ألا يفلت من غربال بحثهم شيء .

على أنكتلمح دوما ما أن المضمون الفكري هو كل ما يخرجون به من تحليلهم للنص الأدبي لأنه من وادي جوهّم الذوقي[1].

و إذا كان واحد كالسكاكي يرى أن الجدل من تمام علوم البلاغة فليس هذا بجديد لأن البلاغة نشأت في حجر المتكلمين دفاعا عن الدين و ما هي تنتهي على يد السكاكي و هو معتزلي

[1]-البلاغة العربية ، تأصيل و تجديد ،د: مصطفى الصاوي الجويني ، أستاذ البلاغة و النقد الأدبي ، كلّية البنات ، جامعة عين شمس 1995 ، منشأة الناشر المعارف بالإسكندرية ، ص : 203

بنفس الهدف . و لا ننسى أنّه يعدّ علمي المعاني و البيان تتمة لعلم النحو و الصرف أي هي عنده من وادي العلوم اللغوية . كيف جعلت البلاغة من هذا الوادي و بعدت عن فنها الأصيل و هو الأدب .

حديث متّصل عن المدرسة الكلامية البلاغية :

كانت هذه المدرسة منطقية مع نفسها حين استخدمت الأمثلة التعليمية الجافة تماما . كما استخدم النحويّون مثل ضرب زيد عمرًا ....، و كانت صادقة في عصر الشروح و الملخصّات حين عمدت إلى تفسير معاني العبارات أو رَدِّ الضمائر إلى الأسماء الظاهرة ، أو إعراب الجمل و بيانمواقعها ، كانت في ذلك صادقة مع نفسها . لأنها إعتبرت علمي المعاني و المعاني و البيان تتمه لعلم النحو ، بهذا صرح السكاكي ، و أقره على ذلك القزويني ، لكن غذا كان هدف السكاكي من بداية " المفتاح " أن يجمع ما تفرّق من أبحاث البلاغة في كتب الفقه و أصوله ، فإنّه قد خلط علوم البلاغة بالنحو و بالمنطق حين اعتبر علم الجدل و الاستدلال من مباحث العلوم البلاغية .

و نحن نعلم أن الجدل و المنطق كانا عنصرين من عناصر الفرق الكلامية التي استخدمت البلاغة ممزوجة بالجدل و المنطق في مناظرتها للدفاع عن النص القرآني ، و طعنات الطاعنين فيه ، ثم أني أميل بعد ذلك كله إلى أن السكاكي و من تلاه عاشوا في عصور استرخاء عقلي جعلهم في فراغ عقلي ينشغلون بالسطوح ، و يبسط المسائل التي يلعبونها ظهرا البطن ، فكرًا و إعرابًا و أخذًا و ردًا [1].

[1]-المصدر السابق ص : 203-204

المدرسة الأدبية :

ظهرت هذه المدرسة بدوافع و عوامل غير الفلسفة و المنطق و علم الكلام الذي قامت عليه المدرسة الكلامية ،ظهرت بدوافع أكثر انتماء للقرآن الكريم يتجلّى بوضوح الهوية التي طبعت بحوث البلاغة فيها بطابع أدبي مستند إلى كثرة الشواهد المقتبسة من كتاب الله ، و عليه كان للكتاب فيها أثر واضح حيث عم الجانب الأدبي البلاغي على ماهية ما كتب ضمن إطار هذه المدرسة فكان للشعراء دورا بارزا فيها حيث شاركوا في التأليف مثل : الشاعر ابن المعتز في كتابه البديع .

و قد اتصفت هذه المدرسة بإبتعادها عن التحديد و التقسيم الذي درجت عليه المدرسة الكلامية و إن كانت قد جنحت أحيانا نحوهما و لكن ليس بالتعمّق و التوغّل و لم تهتّم بإقتباس مسائل الفلسفة .

و من مميزات هذه المدرسة أنها تستعمل المقاييس الفنية في الحكم على الأدب و أنها ترجع الحسن و الجمال إلى الذوق و الإحساس الفني .

أما أهّم كتبها التي تترجم حركتها و تعرب عن آراء رجالها فهي على سبيل المثال : البديع لإبن المعتز ، و الصناعتين للعسكري ، و العمدة للقيراواني ، و أسرار البلاغة للجرجاني .

الفصل الثاني :

حول مفهوم الأسلوبية

المبحث الأول: تعريف الأسلوبية

المبحث الثاني : نشأة الأسلوبية

المبحثالثالث:روّادالأسلوبية

المبحث الرابع: مدارس الأسلوبية

المبحث الأول : مفهوم الأسلوبية

يعدُّ الأسلوب من الدعائم الأساسية في ظل البحث البلاغي القديم رغم سيطرة هذا البحث مدّة من الزمن على الفكر النقدي الأدبي، وكان لظهور علم اللغة أو اللسانيات الحديثة الفضل في رعاية، وعناية هذا الأسلوب، فأمدّه بأسباب الحيوية والانبعاث، وبذلك فتح المجال إلى علم جديد ، ألا وهو الأسلوبية أو علم الأسلوب ليساير المرحلة الحالية، ولقد شهد علم الأسلوب كمختلف التيّارات النقدية الحديثة تحوّلات عديدة منذ بدايات ظهوره الأولى، ممّا أدّى إلى احتكاكه ببعض المفاهيم النقدية واحتوائه فيها أحيانا، ويمكننا أن نمثل لمسيرة هذا العلم في صورة الشمس التي تتعاقب وتتوالى عليها الغيوم في السماء فتضيء أحيانا وتحجب أحيانا أخرى.

وما إنفّك هذا العلم وفي مسيرته أن تتخلله قوالب ،أو مدارس عديدة حاولت هي بدورها احتواء هذا العلم ، أو احتضانه ضمن أطرها الضيقة، لكن رغم هذه الجهود بقي البحث الأسلوبي قصرا على الإلمام بشتات الأسلوبية أو علم الأسلوب، وانحصر في بعض المناهج التي سادت واكتسحت الساحة النقدية فاستطاعت بعضها أن تتمظهر في شكل مدارس تنسب إلى نفسها شرعية وأحقية هذا العلم. " و لكن طموح (الأسلوبية) اليوم أن تكون فرعا في شجرة الألسنية ، أي علم اللغة الحديث ، ينبهنا إلى حقيقة البحث العلمي، و معياريته ، و أيضا حدودهما ، إن الأسلوبية تريد اليوم أن تحد بحثها بالظاهرتين المتكاملتين ، المتساندتين ، في الأدب ، شعره و نثره ، و هما الظاهرة الأسلوبية ، و الظاهرة اللغوية ، إنّها تريد على الخصوص ، دراسة الأسلوب من خلال اللغة ، و ليس من خلال القواعد المعيارية ، السماعية ، أو القياسية التي للبلاغة ، أو سواها " [1]

[1]-اللغة و الأسلوب ، عدنان بن ذريل دراسة ، مراجعة و تقديم :حسن حميد ، الطبعة الثانية منقحة 1427 هـ-2006 م ، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع ، ص : 93

أ–الأسلوبية في الدراسات النقدية :

"الأسلوبية stylistique "، هو علم يرمي إلى تلخيص النص الأدبي من الأحكام المعيارية و الذوقية ، و يهدف إلى علمنة الظاهرة الأدبية ، و التروع بالأحكام النقدية ما أمكن عن الإنطباع غير المعلّل ، و اقتحام عالم الذوق ، وهتك الحجب دونه ، و كشف السرّ في ضروب الإنفعال التي يخلقها الأثر الأدبي في متقبله .

إنّها مجال من مجالات البحث المعاصر التي تدرس النصوص الأدبية باصطناع منهج موضوعي، تحلّل على أساسه الأساليب ، لتبرز جميع الرؤى التي تنطوي عليها أعمال الكتاب ، فتكشف عن القيم الجمالية لهذه الاعمال انطلاقا من تفكيك الظواهر اللغوية و البلاغية للنص .

و الأسلوبية عند " بيار جيرو" فهي دراسة المتغيرات اللسانية إزاء المعيار القاعدي ، و تحديد نوعية الحريات داخل هذا النظام نفسه

أما عبد السلام المسدّي فيذهب إلى أنها " البحث عن الأسس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب " [1]

يبدو أن هذا التعريف مستنبط من طبيعة المصطلح الأجنبي « stylistics » الذي تُرجم بالأسلوبيات ، و هي كلمة مركّبة من وحدتين : الجذر ، الأسلوب « stylus » التي تعني أداة الكتابة ، أو القلم في الأصل اللاتيني ، و من اللاحقة " يات " ، « ies » ، المكونة هي بدورها من الوحدة المورفولوجية " ية" ، « ic » التي تفيد النسبة ، و تشير إلى البعد المنهجي و العلمي لهذه المعرفة . و من " ات" ، « S » الدالة على الجمع ، كل هذه الوحدات مجتمعة تشكل علوم الأسلوب . أما الأسلوبية التي روّج لها عبد السلام المسديفهي آتية من المصطلح الفرنسي

[1] - الاسلوبيات و تحليل الخطاب ، رابح بوحوش ، منشورات جامعة باجي مختار ، عنابة (د ت) ، ص : 2

« stylistique » المكوّن من وحدتين : الجذر أسلوب « style » ، الذي هو ذو مدلول إنساني، و اللاّحقة " ية " ، « ique » التي هي صفة للعلم ، لأنّ تفكيك الوحدتين إلى مدلوليهما الاصطلاحي يعطي عبارة علم الأسلوب « science de style »[1] .

و الظاهر أن المشارقة قد انطلقوا من هذه الخصوصيات المورفولوجية و الدلالية في ترجمتهم " علم الأسلوب " ، و إن كانت بعضهم يخلط بين هذه الترجمات دون الوعي بخطورة الطرح الإبستومولوجي .

و الأسلوبيات– اليوم – تطمح إلى سدّ الثغرة التي كثيرا ما عانت منها الدراسة النقدية القديمة تنظيرا ، و تطبيقا ، و علما ، و منهجا ، و تسعى كذلك إلى معالجة الظاهرة الأسلوبية في نصوصها و سياقاتها بإعتماد المنهج اللساني .

و الحديث عن الأسلوبياتو اهتماماتها ، و آخر انجازاتها قد يطول و يتشعّب بسبب كثرة ما ألّف فيها من بحوث نظرية و تطبيقية . تستعصي على المتابعة و الحصر إطلاقا . و لكن يمكن أن نشير بصفة إجمالية إلى أنّالأسلوبيات ، في تطورّها ، قد سلكت مسلكين : أحدهما الإستقراء الذي أرسى قواعد ممارسة النصوص ، فتألفت من ذلك مكونات الأسلوبيات التطبيقية ، و ثانيهما الاستنباط الذي سوّى اسس التجريد ، و التعميم ، فاستقامت معه مكونات الأسلوبيات النظرية .

أمّا الأولى فقد عكفت على ضبط المنطلقات ، و صوغ فرضيات البحث ، و تحديد غاياته . و أمّا الثانية فقد انكبّت على تحسّس المقاربات المتعلّقة بنصائح المنظّرين ، و ارشاداتهم [2]

[1]-الأسلوبيات و تحليل الخطاب ، لـ : رابح بوحوش ، منشورات جامعة باجي مختار ، عنابة (د ت) ص : 3
[2]-المرجع نفسه ، ص : 3 و 4

ب-الأسلوبية في المعجمات اللّسانية :

لقد حدّد " ديبو" و من معه في معجمه اللساني الرائع مصطلحي :" الأسلوبيات و الأسلوب" ، فطرح جملة من الإشكاليات المتعلقة بالمصطلحين و عالج قضاياهما ، فحصرهما في خمس مسائل هي على التوالي :

1.يعرف شارل بالي " الأسلوبيات بأنها " دراسة الأفعال التعبيرية للغة من خلال محتواها العاطفي ، أي تعبير أفعال الحساسية عن العاطفية انطلاقا من سلوك اللغة و أفعالها " . الأسلوبيات– إذن– فرع من اللسانيات ، تكوّن الطاقات الأسلوبية للسان (تأثيرات الأسلوب في التصوّر السويسري ، و ليس في دراسة أسلوب المؤلّف الذي يقصد استخدامه ، و يدرك قيمه . يربط هذا التعريف الأسلوب بالحساسية التي يمكن أن تعرف بأنها عاطفة التغيير من حيث طبيعة الأنا هي الدافع .

2.الأسلوبيات – غالبًا – هي الدراسة العلمية لأسلوب الأعمال الأدبية ، و هو تدبير يقدمه " جاكبسون" ، أما عن موضوعها التي تروم الدراسة للأسلوب ، فإنّه وجب طرح جملة من المسائل النظرية ، موضوعها قبل كل شيء الأسلوب ، فمبدأ الأهمية ، و التمييز ، أو الذوق الأسلوبي ، كل ذلك هو عمدة الحكم و التقويم ، هذه خصوصية الموضوع و البحث فيه يستطيع أن يجعله معلّلا و يمكن تأسيسه بكيفية علمية ، أما صلة الأسلوبيات باللسانيات فإنّه دون اصطناعها مناهج خاصة بها .[1]

[1]-المرجع السابق ، ص : 4

3.في عمق فرضية سوسير كل نص سجّله الكلام الإبداعي الفردي هو أسلوب يعرف من خلال المرجعية بالنسبة إلى القاعدة على أنّه عدول ، عدول في القانون هو في الغالب انتهاك للماضي كما نلاحظه – اليوم- عند " كنو" ، و " ميشو".

إن أسلوبيات العدول هذه تدمّر النص ، و تنقي ممارسة الكتاب ، إنّها تنطلق من مبدأ جوهري يعامل دائما الفرد على أنّه ظاهرة عرضية انطلاقا من القاعدة حيث ننسى الحديث عن كيفية إنشائها [1].

أسلوبيات العدول هذه تستطيع ضم المؤلّف ، و الإعتناء به ، لكن دون أن ندافع عن أعمال " ريفاتير" حيث " الرسالة تعبر ، و الأسلوب يبرز" و هي أسلوبيات تركّز على تعريف الوظيفة الأسلوبية عند "ر.جاكبسون " و من خلال نظرية التواصل انطلاقا من المبادئ المنهجية للمدرسة السلوكية التي تهتّم بإدراك الحديث الأسلوبي .

إن مهمّة الأسلوبيات هي معرفة رد فعل القارئ عند اصطدامه بالنص ، و الكشف عن منبع ردود الأفعال في النص . و الأسلوبي هو القارئ متعدّد يمثل أوجه القراء .

4.إنها اللهجة المتميّزة التي ينظر من خلالها النحو التّوليدي إلى النص ، لأجل الإهتداءإلى البنى العميقة ، و التحوّلات في مكوناتها الأصلية ، إنّه تصرف لإنشاء نمط الطاقة اللغوية العامة الشبيهة بالأخريات . و هذا ما يفسّر أن القارئ يستطيع أن يوازنها أو يرفضها فيكون الأسلوب عندئذ شكلا مميّزا في الإبانة عن الجهاز التحويلي للسان.[2]

[1]-المرجع السابق ، ص:5-6
[2]-المرجع نفسه ، ص: 7،8

و قد ورد على كلمة style (أي أسلوب) كثير من المعاني ، حيث صار من الصعب تحديدها بتعريف واحد ، و هذا راجع إلى أنّ هذه الكلمة لا تخصُّ المجال اللساني وحده ، بل استعملت في مجالات أخرى عديدة من مجالات الحياة اليومية و الفن : يُتحدث عن " الأسلوب" في الموضة ، و الفن و الموسيقى ، و تدبير الحياة ، و في المائدة والسياسة ، غير أنّ طبيعته لم تحدّد بدقّة في المجال اللساني. و يميّز عادة بين الأسلوب الأدبي و الأسلوب غير الأدبي ، بين الأسلوب الشفوي و الأسلوب الكتابي . بين الأسلوب الجيد و الرديء . إن التأمّل العلمي حول الأسلوب قد أتيح أيضا قدرا كبيرا من المدوّنات الإصطلاحية التيلا تبسّط المشكل ، و هكذا يُتَحدث عن أسلوبية السجلات ، و أسلوبية التلّقي و أسلوبية الإنزياح ، و أسلوبية الروائز الإجتماعية ، و الأسلوبية السياقية ، و الأسلوبية الوظيفية ، و البنيوية و التوليدية ، التحويلية ، و الأسلوبية الإحصائية [1].

و قد شكَّك ب .كري B.gray (1969) في هذا السيَّل كلَّه من المفاهيم الأسلوبية في منوغرافيا تنفي وجود الأسلوب . و الأسلوب حسب رأيه ، ليس إلا اختلافا من اختلافات العلماء ، الإختلاف الذي لا يقابله شيء في الواقع . و برغم هذه العدمية لا يمكن أن ننكر ارتباط بعض المظاهر المشتركة بين جميع مجالات الممارسة المذكورة بكلمة " أسلوب" يمكن أن نذكر من بينها :

1. الأسلوب يمثل إختيارا بين مدّخر من الإمكانيات.

2. الأسلوب خاصية فردية (للنص).

3. الأسلوب هو نتيجة المعايير و المواصفات و منطلقها.

[1]-البلاغة الأسلوبية ، هنريش بليث نموذج سيميائي لتحليل النص ، ترجمة و تعليق : د . محمد العمري ، أفريقيا الشرق 1999 ، بيروت لبنان ، ص : 51

إن مظاهر من هذا القبيل لم تعد خاصة بقوانين الأسلوبية المعيارية ، و لكنّها تكون أيضا موضوع التحليل في البحث الأسلوبي الحديث .

1.الأسلوب كتعبير عن شخصية الكاتب / المرسل و عقليته و توجهه الفكري . و هذا هو المفهوم التعبيري التكويني للأسلوب. و لم يتأخّر النقد عن تنازل هذا التصوّر التعبيري للأسلوب .

2.الأسلوب كأثر في القارئ / المستمع ناتج عن الخصائص الداخلية للنص : المفهوم التأثّري أو العاطفي للأسلوب . فالأسلوب هو كيانٌ علائقي في المفهوم التأثيري كما هو في المفهوم التعبيري.

3.الأسلوب كتقليد (لواقع ما في نص ما) : المفهوم المحاكاتي و الانعكاسي للأسلوب الذي يدور حول العلاقة بين الأسلوب و الموضوع الممثّل به .[1]

4.الأسلوب كتأليف خاص للّغة : المفهوم التأليفي أو المحايث للنص . يتعلّق الأمر أولا بالتصوّر الذي يعالج الأسلوب بإعتبارهإختيارا و تنظيما دالا لعناصر لسانية . و قد كان هذا التصوّر أساس للعديد من النزعات الأسلوبية التي من أهمّها أسلوبية الإنزياح ،و الأسلوبية الإحصائية ، و أسلوبية السياق .[2]

الأسلوبية أو (علم الأسلوب) ،علم لغوي حديث يبحث في الوسائل اللغوية التي تكسب الخطاب العادي ، أو الأدبي خصائصه التعبيرية ، و الشعرية ، فتميّزه عن غيره . إنها تتقرى (الظاهرة الأسلوبية) بالمنهجية العلمية ، اللّغوية ، و تعتبر (الأسلوب) ظاهرة هي في الأساس لغوية ، تدرسها في نصوصها ، و سياقاتها .

[1]-المرجع السابق ، ص: 51 - 53 ، 55
[2]-المرجع نفسه ، ص : 57

هذه المنهجية الجيّدة ميّزت البحث الأسلوبي ، و علم الأسلوب عن البحث البلاغي ، و البلاغة إذ تريد (الأسلوبية) اليوم أن تكون علمية ، تقريرية ، تصف الوقائع ، و تصنّفها بشكل موضوعي ، منهجي ، بعد أن كانت (البلاغة) ، كما رأينا ، تدرس الأسلوب بروح معيارية ، نقدية صريحة ، و تعلم الأفضل من القول .

إن مسألة (المعيارية ، و التقريرية) بالفعل من أهّم المسائل التي شغلت ، و تشغل بال المنظّرين الأسلوبين ، و اللذين انقسموا بسببها إلى فريقين : فريق أعرض كلّيا عن (البلاغة) ، و وقواعدها ، و تحليلاتها ، و فريق ظل يصطنع تحليلاتها ، و يستلهمها أسرار الأسلوب،معتبرا أن (الأسلوبية) لا تستغني عن البلاغة ، و النقد الأدبي ، و أن البحث اللغوي ، الأسلوبي جسر يوصل هو نفسه إلى تاريخ الأدب .[1]

المبحث الثاني : نشأة الأسلوبية

أطلق – فون درجبلنتس– مصطلح (أسلوبية) على دراسة الأسلوب عبر الإنزياحاتاللغوية ، و البلاغية في الكتابة الأدبية ، و التي اعتبرها (تفضيلات) خاصة ، يؤثرها الكاتب على حد قوله ، إذ أنّ الكاتب في انشائه يختار عددا من الكلمات ، والصّيغ دون غيرها ، يؤثرها ، و يجدها تعبّر عن نفسه .

لم تكن (الأسلوبية) وقتها قد اتّضحت معالمها و على أثر ازدهار (علم اللغة) الحديث ، على يد –فرديناندي سوسور–(1857-1913) ، انبرى أحد تلاميذه ، و هو – شارل بالي –

[1] اللغة و الأسلوب ، عدنان بن ذريل دراسة ، مراجعة و تقديم : حسن حميد ، الطبعة الثانية منقحة 1427ه - 2006 م ، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع ، ص : 131

(1865-1942) لدراسة الأسلوب ، بالطرق العلمية اللّغوية ، إذا استهوته بنيويّة اللّغة ، فعمل على إرساء قواعد الأسلوب عليها .

تحمسَّ (شارل بالي) لتدعيم الأسلوبية ،كعلم الأسلوب ، و تمييزها على الخصوص عن النقد الأسلوبي القديم ، فأصدر عام 1902كتابه :- في الأسلوبية الفرنسية – ثم عام 1905 كتابه :- المجمل في الأسلوبية - ، و الذين أقامهما على الوجدانية ، و تعبيرية اللّغة ...و قد اعتبرت محاولته اللّبنة الأولى في صرح الأسلوبية العلمية .

و بفعل أن (شارل بالي) حصر البحث الأسلوبي في الجانب الوجداني للّغة ، و بالتالي في تعبيراتها ، قام أحد أتباعه ، و هو (مارسيل كريسو) فحول مفهوم التعبيرية إلى مفهوم الحدث الجمالي، فوسّع البحث الأسلوبي ، و ربطه من جديد بالإعتبارات النقدية .[1]

و بخصوص العلاقةالتي بين البحث الأسلوبي ، و بين البلاغة ، و النقد عمل (بير غيرو) على إظهار الإزدواج الوظيفي الذي بين مجال العمل الأسلوبي ، و محتوى التفكير البلاغي ، و ذلك في مطلع الخمسينات ، إذ صدرت الطبعة الأولى من كتابه : الأسلوبية – عام 1954 ، و رأى أن موضوع الفاعلية بالنسبة لكل منهما واحد ، هو فن الكتابة ، فن التأليف ، فن القول ، و فن الأدب.

و عام 1965 يصدر –تزفيتان تودورف- أعمال الشكليّين الروس ، مترجمة إلى الفرنسية ، الأمر الذي ينشّط (الأسلوبية) ، و يساعد على تبيين موضوعاتها في المجالات اللغوية ، و أيضا النقدية ،خاصة أن رائد هذه الجماعة (جاكبسون) ما فتئ يغني البحث اللغوي ، و الأسلوبي

[1]-المرجع السابق ، ص: 131، 132

بالأصيل ، النيّر من آرائه ، و اجتهاداته ، و إليه تعود نظرية وظائف اللغة ، و التي كما رأينا اعتدتها الدراسات اللّغوية ، و العلامية و الأسلوبية .

الوظائف اللغوية في نظره تولّدها عناصر القول ، أي عناصر اللّغة الستّة و هي :

1.الباث : و يولّد الوظيفة الإنفعالية ، أو التعبيرية .

2.المتلّقي : و تتولّد عنه الوظيفة الإفهامية .

3.السياق : و يولّد الوظيفة المرجعية

4.العلاقة: و تولد الوظيفة الانتباهية

5.النمطية: و تولد الوظيفة المعجمية

6.الرسالة : و تولد الوظيفة الشعرية ،و هذه الوظيفة موجودة ، و توجد في الخطاب الأدبي ، و به إنّها غاية في ذاتها.[1]

و على هذا النحو صار الأسلوبيون يطمئنون إلى موضوعهم ، مجاله و منهجيته و بارك (ستيفان أولمان) استقرار كل من علم اللغة ، و الأسلوبية ، و استقلال الثانية كعلم لغوي ، نقدي كما أنّه يظهر ما للأسلوبية من فضل على النقد الأدبي ، و علم اللغة كليهما .و أصدر (فريديريك ديلفور) كتابه :-الأسلوبية و الشعرية الفرنسية -، فنقض البحث الأصولي ، و الوضعي في العمل الأسلوبي ، مسلما بداهة بما قبلية المنهج في كل بحث أسلوبي .ثم أصدر (نيقولا ريفاتير) كتابه : - في الأسلوبية البنيوية – فأظهر كبف أن (الأسلوب) هو العلامة المميّزة للقول ، داخل حدود

[1]-المرجع السابق ، ص : 132،133

الخطاب ، و ان (البنيوية النوعية) للنص هي نفسها أسلوبه ، فاللغة (تعبر) ، و لكن الأسلوب يبرز) .و لذلك يدرسه من حيث أثره في (المتلقي) ، أي السامع أو القارئ .[1]

الأسلوبيات في هذه السياقات الإبداعية و النقدية ، و التهديمية ،كانت حلقاتها تنمو و تتآزر ، لتحقّق الإنتصار تلو الإنتصار . و قدكان " ميشال ريقاتير" حلقة من هذه الحلقات الفاعلة في صيرورة الأسلوبيات ، إذ يعدّ من اولئك الذين دفعوا هذا الحقل إلى التطوّر عبر سلسلة من المقالات التي كان يخصّصها لتحليل المعايير الأسلوبية ، هذا المخاض الذي عرفته الأسلوبيات منذ " فان درجبلنتر " ، إلى ميشال ريفاتير " و غيره سواء في المدارس اللسانية منها و النقدية أم في جهات أخرى ، هو الذي أخصب مصطلح " الشعريات " ، و فسح المجال لنموّالسميائيات ، تطوّرها حتى ذاع صيتها في الكون قاطبة .[2]

و لعل أبرز ما وصلنا في هذا الإختصاص هو مشروع " هنريش يليث " كتابه القيم الذي عنوانه " البلاغة الأسلوبية " ، (نموذج سميائي لتحليل النص) . إنه كتاب عميق و طريف ، لأن صاحبه يهدف إلى تأسيس النظرية الأسلوبية السميائيةفإنطلق فيه من الأنموذج التواصلي : المرسل ، و المتلقي ، و الرسالة و السن . و من البلاغة القديمة التي أرجحها إلى عنصرين جامعين لما سواهما هما : التركيب ، التداول ، ثم الأنموذج السيمائي المقترح الذي أقامه على ثلاث أسس هي : التركيب ، التداول ، و الدلالة بالمفهوم الذي حدده لها هنا ، و هو ذو علاقة بالمرجع و الواقع .

لقد لاحظ " بليث " الكثرة المفرطة من الأعمال المرصودة للأسلوبياتتنظيرا و تاريخا في أوروبا و الولايات المتحدة، في وقت واحد ، فردّها إلى سبب النّهضة البلاغية في مجال التّنظير ، و إلى

[1]-المرجع السابق ، ص : 133
[2]-الأسلوبيات و تحليل الخطاب ، رابح بوحوش ، ص:19

الأهمية المتزايدة للسانيات التداولية ، نظريات التواصل ، و السميائية و النقد الإيديولوجي، و كذا الشعريات اللسانية في مجال وصف الخصائص الإقناعية للنصوص و تقويمها بعبارة موجزة .

إن طروحات " هنريش" هي مشروع خطير يحاول أن يقيم نظرية للبلاغة مبنية على دعامتين الأولى البلاغة فن الصناعة ، و هي نتاج واع لا يرجع إلى الطبيعة ، و مصادفتها ، بل إلى النتاج العقلي المنهجي الإنساني . و الثانية البلاغة هي منهج يمسّ خاصية و لازمة للإنسان هو الكلام .

انتقلت عدوى التجديد ، و فكرة بعث القديم إلى العقل العربي ، فنشطت محاولات متعدّدة الإتجاهات ، و نشط معها البحث في الأسلوب ، و البلاغة القديمة ، و يبدو أن أصداء هذه التيّارات ، و تأثيرها قد بدأ بمحاولتين رائدتين – عندنا نحن العرب – أمّا الأولى فتعود إلى سنة 1939 ، عندما أصدر أحمد الشايب كتابه الرائع " الأسلوب " (دراسة بلاغية تحليليةلأصول الأساليب الأدبية) [1].

حاول فيه أن يعيد صياغة البلاغة العربية انطلاقا من خصائصها الجوهرية التي جعلتها دائما متميّزة من غيرها .

إن أحمد الشايب يعدّ جسرا متينا ، وفّق في ربط البلاغة العربية القديمة بمعارف العصر الحديثو تيآراته النقدية ، اللّغوية ، إنّه أراد أن يقدّم البلاغة بطريقة تناسب ذوق العصر " فلم يكن – كغيره ممن شدّوا أطرافا من الآداب الأوربية من طرف الترجمات أو من طريق القراءة المتعثرة في لغتها – مولعا بإيراد الشواهد مما لدى القوم من شعر و نثر ، و إنّما كان يأخذ من نظرياتهم ما يأخذ ، ثم يلتمس لها الدليل ، و الشاهد من الأدب العربي القديم الذي كان يحسنه .

[1]-المرجع السابق ، ص : 19، 20

و أمّا المحاولة الثّانية فكانت في 1947 ، عندما أصدر أمين الخولي كتابه " فن القول " و هو الذي استبدله " بالبلاغة " ، حاول فيه أن يوازن بين البلاغة عند العرب و الأسلوبيات عند الأوربيين . فإعتمد في صورة البلاغة " شروح التلخيص " ، و اعتد في التعريف بالأسلوبيات الحديثة كتاب " باريني " :" الأسلوب الإيطالي "

لقد حرص الخولي على أن تمتدّ دراسة الأسلوب لتشمل المذاهب ، و الأجناس الأدبية ، و دعا إلى الدراسة الموضوعية بإعتماد الذوق و المرونة المنهجية ، الإبتعاد عن العلمية الجافة و قوانينها الجامدة .

بعد هذه المحاولات ، لنقل التيارات الفكرية الغربية إلى العربية ، و الإجتهاد الملحوظ في بعث البلاغة ، و صوغ اتجاهاتها بحسب الذوق العربي المتطلّع إلى التجديد ن و بعد المخاض العسير يبشّر عبد السلام المسدي ، بمولود جديد سنة 1977 ، فيسمّيه " الأسلوبية و الأسلوب " ، و هو مشروع ضمّنه المؤلّف طموحاته التي فاقت تصوّراته الفكرية .[1]

و أيا ما كان الأمر فالكتاب طريف يكشف عن القدرة الفائقة لدى الكاتب. فتقنياته المنهجية ، و تفقهّه في العلم ، و حذقه في اللغتين . كل ذلك ساعده على تقديم الأسلوبيات في أبهى صورها . و لعلّ الذي ازداد به الكتاب عمقا ، و ثراءا هو وضوح المسلك المتّبع لدى عبد السلام المسدي ، إذ خصّص للتوطئة إضاءتين : اوّلهما الأشكال و أسس البناء ، عالج فيها مسألة الحداثة و المعاصرة . و ثانيتهما العلم و موضوعه. اهتمّ فيها بفكرة التحدّيات ، و ضبط المصطلحات كما خصصّ للخاتمة معجما للمصطلح الأسلوبي في استعمالاته الفنية و اقترح للفرنسي المقابل له في اللّسان العربي.

[1]-المرجع السابق ، ص : 21-22

لهذا كله يستحق كتاب " الأسلوبية و الأسلوب " أن يوصف بأنه حلقة من الحلقات المثمرة في السلم التطوّري للأسلوبيات عامة ، و في ظهور محاولات في الأسلوبيات العربية خصوصا و هذا ما كان يرمي إليه الأستاذ عبد السلام المسدي في كتابه فقد أقدم على هذا العمل رغم الصعوبات التي تكتنفه فتوغل في أهم كتب عن " الأسلوبية " باحثا عن منطلقاتها ، كاشفا عن أسسها محاولا الإجابة عن كل أنواع التساؤل التي يفرضها الموضوع ، ساعيا إلى الخروج من بحثه بنظرة تأليفية واضحة تبرّر حقيقة الأسلوبية و تبيّن حدودها .

و لا نبالغ إن أكدنا بأن هذا الكتاب يمثل خطوة هامّة في نقل النظريّات اللّغوية الحديثة إلى القارئ العربي نقل المتفقه فيها الذي لا يكتفي بالرواية ، و إنما يتجاوزها إلى النقد و التقويم .

و يبدو أن كتاب " الأسلوبية و الأسلوب " لعبد السلام المسدي نجح في الترويج للنظريات الأسلوبية و اللسانية ، نجاحا ملحوظا يتجلى ذلك في محاولات عدنان بن ذريل الذي يصدر سنة 1980 كتابا عنوانه " اللغة و الأسلوب " ، كما يصدر سعد مصلوح ، في هذا العام نفسه كتابا عنوانه : " الأسلوب " (دراسة لغوية إحصائية) [1].

تشهد سنة 1981 ولادة كتاب " خصائص الأسلوب في الشوقيات " لصاحبه دراية و اختصاصا هو محمد الهادي طرابلسي الذي يبشر الأسلوبيات التطبيقية في الثقافة العربية ، كما بشر زميله عبد السلام المسديبالأسلوبيات النظرية، فتكتمل حلقات علم الأسلوبيات و تتفاعل ، لتخصب سنة 1984 كوكبة من المؤلفات ، لعل أبرزها " البلاغة و الأسلوبية " لمحمد عبد المطلب ، و " الأسلوبية" في مجلة فصول النقدية ، و " علم الأسلوب " (مبادئه و إجراءاته" لصلاح فضل ، و هو كتاب يهدف من خلاله صاحبه إلى بلورة محاولة في الأسلوبيات العربية الحديثة .

[1]- المرجع السابق ،ص :22،23

أما كتاب " البلاغة و الأسلوبية "لمحمد عبد المطلب ، فهو جهد رائع يحق للقارئ العربي أن يفتخر به ، لأنه يسهم في إنضاج البذرة الأولى لتأسيس الأسلوبيات العربية ، و تعميق جذورها في أرضنا العربية ، كما أشار إلى ذلك صلاح فضل ، و تتكشّف أهميته من خلال المسلك المنهجي الذي اصطنعه المؤلف ، إذ عمد إلى توظيف مفهوم شاع استعماله في كتابة القدامى ، و هو " الكتاب " الذي استبدله بمصطلح " الباب أو الفصل " ، فجاء البحث موزعا بحسب الكتب ، حيث خصّص الكتاب الأول لمفهوم الأسلوب في تراث القدامى ، و خصّص الكتاب الثاني للأسلوب في تراث المدينة ، كما خصّص الكتاب الثالث للأسلوبيات ، أما الكتاب الرابع فقد أفرده للبلاغة و الأسلوبيات .

أما العدد الخاص بالأسلوبيات في مجلة فصول النقدية ، فهي ثمرة إفرازات العقل العربي الحي .

هذا كله يؤكد للقارئ حقيقة واحدة ، و هي أن العقل العربي يحاول ارتياد هذا الفرس الجموح، لخوض مغامرة السباق ، و تحديد مكانته ضمن السيرورة الفكرية ، و الإنسانية في تفاعلها الدياكرونية .[1]

و هكذا يتواصل نمو الخط الدياكرونيللأسلوبيات ، و يتعزّز بمحاولتين لشكري محمد عياد : الأولى " اتّجاهات البحث الأسلوبي " سنة 1985 ، و هي مجموعة أبحاث متميّزة لكبار الأسلوبين " كبالي ، و سيشر ، و ريفاتير ، وثورن " و غيرهم . نقلها إلى العربية فكانت خير معين القارئ العربي في فهم الأسلوبيات و التقرب منها .

أما الثانية التي ازداد بهاالوعي عمقا فهي " اللغة و الإبداع " (مبادئ الأسلوب العربي) و هو كتاب يراه شكري غير مخصّص للبحث في الحداثة و الإبداع ، أو النقد ، و لكنه مخصّص للبحث

[1]-المرجع السابق ، ص 23-25

في اللّغة حيث تتّخذ وسيلة للإبداع الفني ، لأن مذاهب الحداثة على إختلاف أسمائها — من الشكلية إلى البنيوية إلى التفكيكية — تلتقي جميعا عند القول بـ (أدبية الأدب) .

الكتاب إذن محاولة لتفسير البلاغة العربية ، و تشكيل مباحثها ، و وضع المبادئ الأساسية للأسلوبيات العربية . إنّه كتاب يحفر في الجذور ، و يبحث في الخصائص للغة العربية في كتابات اللغويين و البلاغيين على هدي الأسلوبيات الحديثة ، لأن شكري يؤمن بأن فهم القديم لا يتّم إلا إذا نظر بعيون المعاصرة .

و قد سار في هذا الإتجاه مصطفى ناصف الذي أصدر كتابه " اللغة بين البلاغة و الأسلوبية " سنة 1989 ، و هو كتاب يبحث في أصول علم العربية ، خصّص الكاتب فيه البلاغة بمعالجة نقدية و قراءة تفكيكية طريفة ، و لعلّطرافة هذا الكتاب تكمن في أسلوب ناصف السلس ، و عرضه الشيّق ، و مهارته الإنشائية ، إذ نجح في جعل " اللّغة " نواة محوية لكل ممارسته البلاغية و الأسلوبية في المؤلّف كله ، غير أن الذي يؤخذ عليه هو أنّ كلمة " الأسلوبية " الواردة في العنوان توهم القارئ بصورة الأسلوبيات الحديثة ، و الإبهام عدّ بنظر الكاتب عيبا من عيوب البلاغة القديمة ، التي كانت قد جنحت إليه في فتراتها الأولى .[1]

كما نهج فايز الداية المسلك نفسه ، فأصدر سنة 1990 ، كتابا عنوانه " جماليات الأسلوب " (الصورة الفنية في الأدب العربي) ، و هي أبحاث انطلقت من الإشكالات النقدية الحديثة المتعلقة بعدم تمييز بعض الدارسين في غمرة الحماسة للوافدين من الغرب بين البلاغة ماهية أسلوبية ، و تاريخ الدراسات البلاغية القديمة . و قد اصطنع المنهج اللّغوي التّكاملي ، فبني الفصول من خلال النصوص ، و السياقات حتى غدا عمله تطبيقا على الرغم من مساراته النظرية ، فتنوّعت النصوص

[1]-المرجع السابق ، ص :25،26

لتعطي نتيجة شمولية ، لأن الظّاهرة الاسلوبية التصويرية تتجلّى في القديم ، و الحديث ، مع تفاوت الألوان و الانماط فقط . أما الجمال الأدبي فهي الخصائص الأسلوبية (و البلاغة جزءا منها) التي تعطي النص ماهيته الفنية ، و من ثمة تجعله قادرا على رسم أبعاد التجربة الشعورية ، و المواقف ، فتكون الطاقة التي تحمل التأثير و التوصيل هي المحرك الذي يقرب المتلقي من النص .

و تأتي محاولات سعد مصلوح " الأسلوب " (دراسة لغوية إحصائية) سنة 1992 لتعيد النظر بعد عشر سنوات في إشكالية النص ، و التلقي ، هذه إنطلاقا مما استقرّ عليه مؤلّف الأسلوب عند النقّاد و الدارسين ، و ما آلت إليه اللسانيات ، و الأسلوبيات ، الكتاب إذن ، في صياغته الجديدة ، يكشف عن غضب الكاتب ، و ثورته العارمة على المتاجرة بالعلم و تضليل القارئ بالعناوين البرّاقة ، و من ثمّة فهو يرى أن ألقاب الأسلوبيات ، و البنيوية و غيرها قد إتخذت سردا خلفيا ، لإقتحام معقل أخلاه أهله ، فكان بالنسبة إلى مقتحميه كأرض التيه ذلك بأن فحص النص الأدبي بالطرق الأسلوبية التقليدية ، أو بوسائل الأسلوبيات الموسعة . أو بالاسترشاد بمقولات اللسانيات ، و استمداد نماذجها ، إنما يتطلّب تمكّنا من أدوات التّحليل اللّساني على مستوياته الصوتية و الصرفية ، و النحوية ، و الدلالية ، و هو مسلك يستعصي على أهل العجلة و التسرّع .[1]

[1]-المرجع السابق ، ص : 27،26

المبحث الثالث : روّاد الأسلوبية

أقضى الإهتمامبالأسلوبيات و نتائجها إلى تنويع حقولها و اتجاهاتها ، و السر في ذلك موضوعاتها المتشعّبة التي توسّعت بقدر مناحي الحياة الإنسانية ، فالبنى الإجتماعية و الرؤى الفكرية ، و الإبداعية و الجمالية هي مادة حيوية يتنافس المتنافسون الأسلوبيون عليها لتطبيق مناهجهم الإجتماعية و النفسية ، و اللسانية ، فصارت الأسلوبية أسلوبيات .[1]

لقد إهتّم النقّاد الغربيون بموضوع الأسلوبية اهتماما كبيرا ، و إتّجهتجل جهودهم إلى محاولة وضع أطر ، و معالم لهذا العلم الحديث ، رغم إختلاف تصوّراتهم و مشاريعهم و تنوّع دراساتهم ، التي كان لها الفضل الكبير في إثراء الدراسات الحديثة بهذا النوع من البحث الموضوعي ، و هو ما انعكس إيجابا على الفكر النقدي الأوربي و الغربي على الخصوص ، و ما أدلّ على ذلك هو الإهتمام الذي لاقته الأسلوبية لدى النقاد العرب ، و محاولاتهم رصد هذا العلم ضمن الأعمال الأدبية العربية ، و سنحاول في هذا الصدد رصد أهم الآراء و التصوّرات النظرية التي برزت على الساحة النقدية الغربية من لدن بعض روّاد هذا الفكر الجديد و من ثمة سنخرج إلى بعض التصورات و الأفكار التي أسهموا بها من أجل تقديم الإضافات للنهوض بهذا العلم الجديد و تطويره .

و من أهم الرواد الغربيين الأوائل الذين ساهموا في بناء هذا العلم الأسلوبي و قدموا الكثير له من أجل الوصول به إلى درجة تساوي أو تضاهي درجات سائر العلوم الأخرى نذكر :

شارل بالي (charls Bally) 1865م-1947 م :

يعتبر هذا اللساني السويسري من المؤسّسين الأوائل لعلم الأسلوب حيث يعتبر مُؤسّس الإتّجاه اللّساني الأسلوبية الوصفية (أسلوبية التعبير) حيث درس اللّغة من جهة المخاطب و المخاطب ، و

[1]-الاسلوبية و تحليل الخطاب ، رابح بوحوش،ص:32

انتهى إلى أنّها – أي اللّغة – لا تعبّر عن الفكر إلا من خلال موقف وجداني ، أي أنّ الفكرة المعبّر عنها بوسائل لغوية لا تصير كلاما إلا عبر مرورها بمسالك وجدانية كالأمل أو الترجي ، أو الصبر ، أو النهي .[1] كان لشار بالي الشرف الكبير في نشر المؤلف النفيس لفرديناند دي سوسير و هو كتابه القيم " محاضرات في اللسانيات العامة " .

حيث تحمّس كثيرا إلى أسلوبيته التعبيرية ، فأسّس قواعدها العلمية ، و أهدافها في كتابين قيّمين : الأول عنوانه :" محاولات في الأسلوبيات الفرنسية " أصدره سنة 1902 ، و الثاني عنوانه " المجمل في الأسلوبيات " نشره سنة 1905 .[2]

و هو يري في الأسلوبية ذلك البحث الذي يعني بدراسة قضايا التعبير عن قضايا الإحساس و الكلام ، و هي بذلك تدرس وقائع التعبير اللغوي من جهة مضامينها الوجدانية أي تدرس تعبير الوقائع للحساسية المعبّر عنها لغويا ،كما تدرس فعل الوقائع اللغوية على الحساسية) [3] ثم جاء من بعده أتباعه و تلاميذه الذين ساروا في اتّجاه الأسلوبية التعبيرية ، و انصبّت جهودهم في تحقيق دور الأسلوبية في الكشف عن خصائص التعبير رغم الاختلافات البسيطة بين آرائهم [4] و تركيزهم على العناية بخصائص التعبير الجمالية في النصوص الإبداعية المقصودة ، و من هؤلاء (مارسيل كرسيو) و (جول ماروز) ، هما من روّاد هذاالإتّجاه و من المناصرين الأوائل لفكرة التخلي عن لغة النصوص أو اللغة الفطرية .

[1]-المرجع السابق ، ص : 32
[2]-المرجع نفسه ،ص:13
[3]-الأسلوبية و تحليل الخطاب ، نور الدين السد ، ج1 ، دار هومة 1997 ، الجزائر ، ص : 16
[4]-المرجع نفسه ، ص: 186

ليوسبترز léospitzer)) 1887–1960:

أضاف هذا اللساني على فكر (شارل بالي) البحث في الوقائع الأسلوبية من جانب الإحساس وجانب الفكر ، و حددّ الأسلوب بإنزياحه أو عدوله عن المعيار السائر في الفترة الزمنية المحددّة ، و حاول التركيز من خلال الأسلوبية على صاحب الأسلوب في إنطباعه الشخصي و كذا النفسي [1] ، حيث أغرقت تحاليله الأسلوبية في الجوانب النفسية المتّصلة بالكاتب ذاته ، و هو ما أدى فيما بعد إلى ظهور منهج خاص في الأسلوبية .

ينسب إلى " ليوسبيتزر" الأسلوبية التكوينية (النقدية) إذ يعدّ هو مصمّم هذا الإتجاه بتأثير من الكارلفوسلير"، و الأسلوبية التكوينية تدرس وقائع الكلام ، أي الوقائع اللغوية التي تبرز السمات اللسانية الأصيلة لكاتب أو لكتاب معيّن ، و اللاّفت للإنتباه في الأسلوبيات النقدية هو أن " سبيتزر : يرفض التقسيم التقليدي بين دراسة الأدب و دراسة اللغة ، معتمدا الحدس للتوغّل في عمق الفعل الأدبي الذي ينتمي إليه من خلال أصالة الشكل اللساني ، أي الأسلوب ، و قد استطاع " ليوسبتزر" برؤيته هذه أن يحدث انقلابا فكريا في تاريخ اللسانيات و النقد الجامعي ، تجلى هذا في أبحاثه العميقة المفيدة مثل الدراسات في الأسلوب 1928" و " اللسانيات و تاريخ الأدب عام 1948"، و " الأسلوبيات 1955" [2].

و شرع " ليوسيتزر" منذ سنة 1911 في التمهيد للأسلوبيات الادبية ، فيقدّم دراسة عن " رابلييه" يسعى فيها إلى إبراز العلاقات القائمة بين العناصر الأسلوبية و العالم النفسي للكاتب ، و بين سنتي 1920 و 1925 يكشف أن الملامح الأسلوبية المتكرّرة في عمل الكاتب في انتظام هي

[1]-المرجع السابق ، ص : 187
[2]-الأسلوبية و تحليل الخطاب ، رابح بوحوش ، ص :34

عناصر مرتبطة بمراكز وجدانية في نفسه و أفكار عاطفية سائدة ، و ليست مظاهر مرضية كما يؤكد " فرويد" . و على الرغم من هذا الإختلاف مع " فرويد"إلا أن " ليو سبتزر" لم يتخلّص من تأثيراته .[1]

*ميشال ريفاتير(M.Reffatere) :

اهتّم هذا اللساني و منذ العقد الخامس من القرن الماضي بالدراسات اللسانية و الأسلوبية ، و أبرز دور الأسلوبية كبحث جدّي و موضوعي في إبراز شعرية النصّوص بالمنهج البنائي الذي أفاد التحليل الأسلوبي . و قد ركّز هذا الأخير على دور القارئ المتميّز في فهم الطاقات الأسلوبية المودعة في الخطاب الأدبي ، و يرى الأسلوبية ذلك العلم الذي يهدف إلى الكشف عن العناصر المتميّزة التي يستطيع بها الكاتب "مراقبة حرية الإدراك لدى القارئ المتقبّل ، و التي بها يستطيع أيضا أن يفرض على المتقبل وجهة نظره في الفهم و الإدراك فتنتهي إلى إعتبار الأسلوبية لسانيات تعني بظاهرة حمل الذهن على فهم معيّن و إدراك مخصّص " [2].

و قد اعتمد في تجسيد هذه السمات الأسلوبية التي تنتقل إلى القارئ العمدة عبر التطبيقات البنائية الموضوعية التي حاولت أن تتّخذ من خلاله منهجا ، أو مدرسة أسلوبية كان لها صدى كبير في إجراءاتها و تحاليلها البنيوية .

يعدّ "ميشال ريفاتير" حلقة من الحلقات الفاعلة في صيرورة الأسلوبيات إذ كان من أولئك الذين دفعوا هذا الحقل إلى التطوّر عبر سلسلة من المقالات التي كان يخصّصها لتحليل المعايير الأسلوبية ، و قد نظر إلى الأسلوب على أنّه خصوصية من خصوصيات الرسالة لا يوجد إلا في

[1]-المرجع السابق ، ص : 14
[2]-الأسلوبية و الأسلوب ، عبد السلام المسدي ، ط1 ، الدار العربية للكتاب 1982 ، تونس ، ص : 49

النص ، و الإشارات في النص لا تملك قيما مطلقة ، و لكنّها تنتج عن معارضة الإشارات و الإتّصالبها .[1] و يحاول ريفاتير سنة 1961 أن يضبط مفهوم العدول في المعيار .[2]

رولاند بارت (rolandbarthes) 1915 :

لساني فرنسي عمل على إرساء قواعد نقد حديث ، و حاول في كتابه (الدرجة الصفر في الكتابة) سنة 1953 م وضع فاصل بين اللغة و الأسلوب.[3]

و يرى أن الأسلوب بمثابة الشعاع و لا يستطيع القبض عليه ، و منه نستعين بهذا التفرّد في الأسلوب بدراسة الأسلوبية القائمة على الإحصاء لإبراز ما فوق الصفر أو ما يسمّى (بالتجاوز).[4]

كما ظهر لرونالد بارث اهتمام بالخطاب ، حيث عالج عدة مسائل منه ، حيث توّسعت نظرته في هذا المجال حتى صار الخطاب عنده متعة و عشقًا

*تزفتان تودوروف(Tzventantodovov) 1939:

لساني بلغاري الأصل فرنسي الجنسية ، و باحث في الأسلوبيات ، و من المهتمين بالخواص الجمالية ضمن الخطابات الأدبية ، و لقد تركّزت بحوثه في ميدان الشعرية (poétique) و حاول بيان تطبيقاتها و تحديد معالمها رغم هذا الترابط الشديد بينها و بين الأسلوبية ، إذا يرى في الأسلوبية منهجا خاصا، و لخصّها في اتجاهين أو منهجين هما أسلوبية (شارل بالي) و أسلوبية (ليوسبتزر)[5].

قام " ت.تودوروف " بنقل أعمال الشكليين الروس مترجمة إلى الفرنسية ، فتعزز مكانة الأسلوبيات و تستقر ، لأنّ بعد هذه الفترة بسنتين ، سنة 1967 . ينجح تودوروف في بلورة قواعد

[1]-الأسلوبية و الأسلوب ، عبد السلام المسدي (نحو بديل ألسني في نقد الأدب) ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس 1977 ، ص : 28
[2]-الأسلوبية و تحليل الخطاب ، رابح بوحوش ، ص : 42
[3]-البحث الأسلوبي (معاصرة و تراث) منشأة المعارف 1993 ، مصر ، ص :22
[4]-المرجع نفسه ، ص : 23
[5]-الأسلوبية و تحليل الخطاب ، نور الدين السد ، ص :24

" الشعريات" في كتابه " الصناعة الأدبية و الدلالة " . ينطلق من هذا الأثر الأدبي ليستنبط العلاقة العضوية بين خطابية الأدب ، و خصوصيتهالتركيبية ، و يقيم حدود فلسفة منهجه النقدي ، فيشير إلى أنّ الشّعريات يمكن أن تستغني عن الأدب ، و لكّن عليا أن تتجاوز الأثر الأدبي لتتفحّص مقوّماتها الذاتية . [1]

*رومان جاكبسون(Roùan Jakobson) 1896-1981 م

لساني روسي و من المؤسّسين الأوائل لمدرسة الشكلانيين الروس ، أسهم في بلورة الفكر الأسلوبي ، و لم يغفل دور الأسلوب في الخطاب الأدبي بوصفه مقوما أساسا في الوظيفة الشعرية .[2]

و نادى بمد جسربين الدراسات اللغوية. و النقد الأدبي بالدراسة الأسلوبية. كما أنه اهتّم بنظرية النظم عند العلامة (عبد القاهر الجرجاني) و أعاد صياغة التصوّرات البلاغية القديمة ، و صفها و صاغها على ضوء علم اللّغة الحديث و نظريات السيميولوجيا [3]. و هو بذلك يضع مفهوما للأسلوبية فيصفها بالبحث الموضوعي عمّا يتميّز به الكلام الفنعن بقيّة الخطابات و المستويات أولا ثم عن سائر أصناف و أشكال الفنون الإنسانية ثانيا .[4]

و لم يستبعد بذلك كون الوظيفة الشعرية التي دعا إليها في حقيقة أمرها وظيفة أسلوبية بحتة تسعى إلى تحقيق أدبية النص ، و منه تكون الأسلوبية بحثا خاصا يهدف إلى إبراز خصوصية النصوص من خلال إبراز الوظيفة الشعرية فيها .

و قد ألقى " جاكبسون " محاضرة عنوانها " اللسانيات و الشعريات " عالج فيها إمكانية قيام المصاهرة بين اللسانيات و الصناعة الأدبية ، فبشّر بسلامة بناء الجسر بين إقليميين : هما اللغة و

[1]-الأسلوبيات و تحليل الخطاب ، رابح بوحوش ، ص : 18
[2]-نظرية البنائية في النقد الأدبي ، صلاح فضل ، ط : 3 ، دار الآفاق ،1985 ، بيروت ، ص : 170
[3]-المرجع نفسه ، ص : 170
[4]-الأسلوبية و الأسلوب ، عبد السلام المسدي ، ص : 37

الأدب ، و هو الإتّجاه الذي وضع أسسه ، و دعا إليه " ليوسبتزر " سنة 1948 في كتابه " اللسانيات و تاريخ الأدب " ، فإكتملت حلقات الأسلوبية بصنيع جاكبسون هذا [1].

*بيارجيرو(P.Guireau):

قسّم الأسلوبية المعاصرة إلى إتجاهين متخالفين ، و هما الأسلوبية النقدية و يقودها (شارل بالي) ، و الأسلوبية الجديدة أو الحديثة و التي تتّصل بالبنيوية عن طريق (جاكبسون)، و كلاهما يريان في الأسلوب الشكل المتميّز للنص المدروس .

و يختلفان في أن الأول يقيّدها بالرمز ، أو الشفرة ، و الثاني يقيّدها بالبنى الداخلية (الرسالة).[2]

حاول " بيار جيرو" في الخمسينات أن يبحث لما يسمى بالإنحراف الأسلوبي الفردي عن الاستعمال العادي عن مقياس موضوعي باصطناع المنهج الإحصائي انطلاقا من ظاهرة الألفاظ ذات التواتر غير العادي لدى كاتب من الكتّاب . بالنسبة إلى التواترات الموضوعية، من خلال عدد كبير من الكتاب الآخرين قد تكون في الألفاظ المفاتيح عند ذلك الكاتب .

و قد دعّم " بيار جيرو" هذا الإتجاه في سنة 1954 بإصداره كتابا قيما " الأسلوبيات " نشره في سلسلة " ماذا أعرف ؟" ، وضمنه فكرة العلاقة بين البحث الأسلوبي و البلاغة و النقد ، فإنتهى إلى أن الأسلوبيات بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف التعبير ، و هي نقد الأسلوبيات والعلمية ، و هي تحديد الأهداف و المناهج . [3]

[1]-الأسلوبية و تحليل الخطاب ، رابح بوحوش ، ص : 18
[2]-الأسلوبية ، فتح الله أحمد سليمان ، (دون ط) ، مكتبة الآداب القاهرة 1997 ، مصر ، ص : 34
[3]-الأسلوبية و تحليل الخطاب ، رابح بوحوش ، ص: 16

لقد نالت الأسلوبية المكانة بفضل هؤلاء رغم تعدّد و تشتّت الآراء في تحديدها رغم أنها لم تكن مصدر إنشغال كير عن البعض ، إلا أنّها استأثرت بمصنّفات خاصّة و بحوث مركزّة لا تعدّ ، و لا تحصى، و ظلت عند المتأخرين منهم كبحث متجدد قابل للنقاش ، و الإثراء ، و سنكتفي هنا بذكر بعض الأسماء الغربية التي ساهمت في دفع مسيرة هذا العلم و منهم :

غرا هام هو و كتابه الأسلوب و الأسلوبية و تحدثه عن النظر الأسلوبي الغربي في قديمه و الحديث ، حيث اعتبر أن فكرة الأسلوب فكرة قديمة ترجع إلى بداية التفكير الأدبي الأوربي ، و قد ارتبطت أولا بالبلاغة أكثر من ارتباطها بالشعر . [1] و " فون دير قابلنتر " الذي ظهر على يده مصطلح الأسلوبية ، و " جيل ماروزو" الذي حاول توجيه الدراسات الأسلوبية إلى الإهتمام بالصناعة الأدبية ، و الحدث الجمالي ، و " استيفانأولمان " و كتابه القيّم الذي عنوانه " إشكالياتاللسانيات و مناهجها " [2].

و كذلك نجد " هنريش بليث " و كتابه القيّم الذي عنوانه " البلاغة و الأسلوبية " و هو نموذج سميائي لتحليل النص ، و الذي هو بمثابة مشروع يهدف إلى تأسيس النظرية الأسلوبية السيميائية ، و نجد أيضا " فريديريك لوفر" و إصداره كتاب : " الأسلوبيات و الشعريات الفرنسية " و التي ينقد فيها مبدأ البحث الأصولي في منهجه العمل الأسلوبي ،و غيرهم ممن أسهموا مساهمة بنّاءة في سبيل التّطوير و العمل على رقي هذا العلم الجديد .[3]

و بحكم احتكاك الثقافات العربية بالغربية ، و سيطرة الفكر العقلي الموضوعي على البحث الإنساني في العصر الحديث ، نجد تطلّع النقّاد و الباحثون العرب إلى مستقبل الأسلوبية، و دورها في

[1]-ينظر الأسلوبية و نظرية النص –دراسات و بحوث / نقد ، د. ابراهيم خليل / الطبعة العربية الأولى ، 1997 ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ص: 67
[2]-ينظر الأسلوبية و تحليل الخطاب ، رابح بوحوش ، ص 18
[3]-ينظر المرجع نفسه : ص :19

النقد العربي ، كما لم يهمل هؤلاء الإهتمام بظاهرة الأسلوب منذ العصور الأولى و خاصة على مستوى الشعر ، و من بين العرب الأوائل الذين اهتمّوا بالأسلوبية و حاولوا إبراز دوها في النقد العربي ، و ظهرت عندهم أعمال كبيرة و لها تأثير كبير في هذا المجال نذكر :

*عبد السلام المسدي :

و هو واحد من النقّاد الأوائل الذين ترسّخت أسماؤهم في حركة النقد الأدبي ليس في تونس فقط بل في العالم العربي كله ، اتّسمت بحوثه الأسلوبية و مصنّفاته بالبحث على نقاط التكامل و التواشج بين المنحى الجمالي و المنحنى الموضوعي العلمي إلا أن تحاليله نزعت إلى روح التجريدية العلمية أكثر من الرصد و الكشف الجمالي ، و يعتبر المسدي من الباحثين الأوائل الذين روجوالمصطلح (الأسلوبية) كما لم يغفل اعتماد مصطلح (علم الأسلوب) [1]، كما أنّه لم يمل إلى منهج معين لذاته في تحليله الأسلوبي بل مزج بين المقولات الأسلوبية و معطيات علم النفس.[2]

و دعا إلى ضرورة اغناء العمل الأسلوبي بالفحص النقدي النظري ، و المراجعة التطبيقية للوصول إلى تلخيص المعارف ، و تمحيص المفاهيم . كما ألح ، على ضرورة الحذر و الحيطة المسبقين في إختيار الخطوة الأولى للولوج إلى العمل النقدي ذي الطابع الأسلوبي [3].

و من مؤلفاته القيّمة كتاب ، " الأسلوبية و الأسلوب " (نحو بديل ألسني في نقد الأدب) الذي أصدره سنة 1977 ، و هو مشروع ضمّنه المؤلّف طموحاته التي فاقت تصوّراته الفكرية ، و كتابه هذا يكشف عن القدرة الفائقة لدى الكاتب ، و هو كتاب يستحّق أن يوصف بأنّه حلقة من الحلقات المثمرة في السلّم التطوّري للأسلوبيات عامة ، و في ظهور محاولات في الأسلوبيات العربية

[1]- الأسلوبية و تحليل الخطاب ، نور الدين السد ، ج1 ، ص : 13
[2]-المنهج الأسلوبي في النقد العربي الحديث ، بشرى موسى الحاج ، علامات ج40 ، مج : 10 ، السعودية ، ص :300
[3]-المرجع نفسه ، ص : 301، 302

خصوصا و هذا ما كان يرمي إليه الأستاذ عبد السلام المسدّي في كتابه ، فقد توغّل في أهم ما كتب عن الأسلوبية باحثا عن منطلقاتها ، كاشفا عن أسسها . محاولا الإجابة عن كل أنواع التساؤل التي يفرضها الموضوع ، ساعيا إلى الخروج من بحثه بنظرة تأليفية واضحة ا تبّرر حقيقة الأسلوبية و تبيّن حدودها .[1]

***الدكتور صلاح فضل :**

رائد من رواد البحث الأسلوبي في المشرق العربي ، عكست انتاجاته اهتمامه الخاص بالبحث في مجال هذا العلم و سعيه الدؤوب لوضع أسس علمية و جمالية لأسلوبية عربية قادرة على إثبات وجودها أمام المد المتصاعد للتيارات النقدية الوافدة من الغرب . و التي لا تتلائم بعضها مع طبيعة النص الأدبي ، و من أهم آرائه في هذا المجال تفضيله لإستخدام مصطلح (علم الأسلوب) بدل الأسلوبية لأنّ علم الأسلوب هو جزء لا يتجزّأ من علم اللّغة العام .[2] كما أطلق كذلك على إجتماع الأسلوب و الشعرية معا في مصطلح (علم الأسلوب الشعري) في بحث واحد و هو لا يغفل المواشجة بين المراحل النصّية و السياقية ، كذا الظواهر الجمالية أثناء التحاليل الأسلوبية للنصوص الشعرية و أساليبها بشرط احترام خصوصيات النّص الأدبي العربي .[3]

***الدكتور سعد مصلوح :**

[1]-ينظر الاسلوبية و تحليل الخطاب ، رابح بوحوش ، ص: 22 ، 23
[2]-الأسلوبية و تحليل الخطاب ، نور الدين السد ، ج:1، ص : 13-14
[3]-المرجع نفسه ، ص 394-395

إعتمد هذا الأخير مصطلح (الأسلوبيات) الموافقة لما جاء على لسان السلف على وزن (الطبقات ، الرياضيات) ، كما يرى هذا المصطلح يتّفق حديثا مع مصطلح (اللسانيات) إذ يعتّد بهذا العلم (علم الأسلوب) و لا يعدّه منهجا لأنّه يظّم عدّة مناهج بداخله . [1]

و محاولته " الأسلوبية " (دراسة لغوية إحصائية) سنة 1952 تأتي لتعيد النظر بعد عشر سنوات في إشكالية النص ، و التلقي ، و الكتاب هذا في صياغته الجديدة ، يكشف عن غضب الكاتب ، و ثورته العارمة على المتاجرة بالعلم و تضليل القارئ بالعناوين البرّاقة ، و هو يرى أن ألقاب الأسلوبيات ، و البنيوية ، و غيرها قد اتّخذت سردابا خلفيا ، لإقتحام معقل أخلاه أهله .[2]

***الدكتور .شكري محمد عياد :**

اجتهد في تقسيم و تفريع الأسلوبية إلى وجهين رئيسيين [3]:

-علم الأسلوب العام : و هو علم يهتم بالخصائص الاسلوبية التعبيرية في اللغات عموما كالمجاز و غيرها .

-علم الأسلوب الخاص : يعني بميزات أسلوبية تعبيرية خاصة بلغة ما معيّنة ، و هو في موقف آخر يدعو إلى الإعتداد بالبلاغة العربية و ما قدمته للبحث الأسلوبي الحديث في دراسة القيم التعبيرية ، و الاستفادة من الدراسات اللّغوية الحديثة في إرساء علم الأسلوب العربي .

***الدكتور نور الدين السد :**

[1]-الاسلوبية و تحليل الخطاب ، نور الدين السد ، ص : 13 ، 14
[2]-ينظر الأسلوبية و تحليل الخطاب ، رابح بوحوش ، ص : 26 ، 27
[3]-الاسلوبية و تحليل الخطاب ، نور الدين السد ، ج : 1 ، ص : 39

أبدى اهتماما كبيرا للأسلوبية و منهج تحليل الخطاب من خلال كتابه الأسلوبية و تحليل الخطاب) سنة 1997 ، و الذي كان بمثابة دراسة بيليوغرافية لمختلف الدراسات السابقة و خاصّة العربية منها إلى جانب بعض الاختلالات الجوهرية لها .

و حاول عرض التجارب عرضا ملخّصا أورد فيه أهم ايحاءات هذه التحاليل و ما أضافته للبحث الأسلوبي مع الفروقات الجوهرية بينها ، و من آرائه في هذا المجال وصفه للأسلوب بأنه مرتبط بعلم اللغة عن طريق المادة اللغوية التي يصدر عنها . [1]

و من خلال ذلك كله نقف على شهادة الدكتور (طه وادي) في كتابه (الأسلوبية) إذ يصرح " اليوم لم يعد ثمة ريب بين الدارسين العرب للنص الادبي ...إن منهج الأسلوبي من أكثر المناهج المعاصرة قدرة على تحليل الخطاب الأدبي بطريقة علمية موضوعية تعيد مجال الدراسة — دراسة النص- إلى مكانها الصحيح ، و هو دراسة الأدب من جانب اللّغة " [2]

المبحث الرابع : مدارس الأسلوبية :

تنوعت الدراسات الأسلوبية و تفرّعت و أصبح من المعتذر أن ترصد دراسة واحدة الفروع المتشعّبة لهذا العلم ، و يكفي هنا أن ننقل الإحصاء الذي أجراه هاترزفيلد عن المؤلّفات التي كتبت عن الأسلوب و الأسلوبي خلال النصف الأوّل من هذا القرن (1902-1952) إذ وصل بها إلى ألفي مؤلّف . أما الزوايا التي تضيئها هذه المؤلفات فهي تتعدّد بتعدّد زوايا النشاط الإنساني التي تتّصل باللّغة ، و هي في نهاية المطاف الوسيلة الرئيسية للتعبير عن مجمل الأفكار و الأحاسيس البشرية .[3]

[1]-المرجع السابق ، ص : 139
[2]-الأسلوبية ، فتح الله أحمد سليمان ، ص :5
[3]- دراسة الأسلوب بين المعاصرة و التراث ، د.أحمد درويش ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، ص :28

***الأسلوبية التعبيرية :**

ارتبطت بثنائية اللّغة و الكلام عند " دي سوسير De saussure » من حيث " البحث عن الخصائص النوعية التي تميّز نصا أدبيا متحقّقا من غيره من النصوص الأدبية ، و لذا فهي تعتني بما هو متّقد و منجز ، أي أنها تُعنى بالنص الذي يرتبط من ناحية تحقّقه بالكلام [1]. و أثّر هذا المد الأسلوبي في " شارل بالي " الذي جاء بعد دي سوسير ، و حدّد مجال رؤيته للأسلوبية في إطار حقله اللغوي :" حيث كان اهتمامه بالمعطى الأدائي و ما يحمله من شحنات عاطفية يمكن ملاحظتها بواسطة مراقبة التعبيرات،و ما تثيره من مشاعر مختلفة و متعدّدة ، و في الوقت نفسه فإن ذلك كله يظّل في حدود اللّغة المنطوقة [2] . و الأسلوبية عنده هي :

" العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي ، أي التعبير عن واقع الحساسية الشعورية من خلال اللغة، وواقع اللغة عبر هذه الحساسية".[3]

و قد ركّز " بالي " على الطابع العاطفي للّغة و ارتباطه بفكرتي القيمة و التوصيل فكان يرى أن الإحتكاك بالحياة الواقعية يجعل الأفكار التي تبدو موضوعية في الظاهر مفعمة بالتيار العاطفي ، فالمتحدث الفردي يحاول دون كلل أن يترجم ذاتية تفكيره ثم يتولى الاستعمال الشائع تكريس هذه اللفتات التعبيرية .

و يرى " بالي " أيضا أن الأسلوبية تدرس الوقائع المتعلّقة بالتعبير اللّغوي من وجهة محتواها الوجداني أي التعبيرات اللغوية عن وقائع الوجدان و أثرها بالتاي على حساسية الآخرين ، و لذا يتجلّى تأكيده على أن مضمون اللّغةالعاطفي هو العلامة الفارقة في عمليّات التواصل

[1]- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في البلاغة و الأسلوبية : خصائص الأسلوب في شعر محمد العيد آل خليفة ، من إعداد الطالبة : صفية بوعناني ، إشراف : أ.د. شريفي عبد اللطيف . السنة الجامعية : 2010-2011 م، ص :9

[2]- نقلاعن المرجع نفسه ، ص : 9 (رجاء عيد ، البحث الأسلوبي ، معاصرة و تراث ، ص32)

[3]- نقلا عن المرجع نفسه ، ص : 9 (د.صلاح فصل ، علم الأسلوب و النظرية البنائية ص : 30)

أما الأسلوب عنده " فيتجلّى في مجموعة الوحدات اللسانية التي تمارس تأثيرا معيّنا في مستمعها أو قارئها ، و من هنا يتمحور هدف الأسلوبية دون إكتشاف القيم اللسانية المؤثرة ذات الطابع العاطفي " [1] و علم الأسلوب في مصطلح بالي لا يتدخّللا عندما يمسّ التعبير وسطا اجتماعيا أو شكلا معيّنا للحياة أو طريقة للتفكير الجماعي مثل اللّغات الشعبية أو لغة الطفولة أو الحياة الزوجية أو التفكير العلمي أو ما عادا ذلك .[2]

و قد تجاوزته الدراسات الأسلوبية بعده فيما وصل إليه من تصوّرات تقصر بحثه الأسلوبي على القيم الوجدانية فقط . للبحث عن جماليات النصوص الأدبية و السعي للإستفادة من الجهود النقدية و التطورات العلمية و هذا ما أدى إلى وجود اتجاه ثاني سميّ بالأسلوبيةالنفسية . [3]

***الأسلوبية النفسية :**

لقد كان الاهتمام بظاهرة الشحن الوجداني في اللغة مظهرا بارزا ساعد في انفتاح الدراسة الأسلوبية على الجانب الأدبي التأثيري لتوفر أدوات لفظية ملائمة لطبيعة السلوك اللغوي بالتحرّك من سطح النص إلى لبّه من أجل الكشف عن نفسية المؤلف من خلال بناه اللسانية .[4]

و من روّاد هذا الإتجاه (ليوسبيتزر leospitzer) الذي أحدث تحوّلا أساسيا و جوهريا في الإفادة من اللغة لتحليل النصوص الأدبية و دراسة الأسلوب الفردي للأديب .

[1]-نقلا عن المرجع السابق ص 10 (حسن ناظم، البنى الأسلوبية دراسة في أنشودة " المطر " للسياب ص : 31)
[2]-نقلا عن المرجع نفسه ص :10 (د.صلاح فصل ، علم الأسلوب و النظرية البنائية ، ج 1، ص 57)
[3]-المرجع نفسه ، ص : 10
[4]-نقلا عن المرجع نفسه ، ص :10 (حسن ناظم ، البنى الأسلوبية ، دراسة في أنشودة " المطر " ص : 26)

استند منهج سبيتزر في التحليل الأسلوبي إلى التذوق الشخصي فهو يحددنظام التحليل بما يسميه منهج الدائرة الفيلولوجية * إذ تبتدئ هذه الدائرة بالقارئ الذي يتأمّل النص كما يصل إلى شيء في لغته يلفت نظره " إن إدراك ما يلفت النظر في لغة النص إنما ينبع من الحدس .

و انطوت أسلوبية سبيتزر على مبادئ أهمها :

- معالجة النص تكشف عن شخصية مؤلفه .
- الأسلوب إنعطاف شخصي عن الاستعمال المألوف للغة .
- فكر الكاتب لمحة في تماسك النص.
- التعاطف مع النص ضروري للدخول إلى علمه الحميم.[1]

إن أسلوبية سبيتزر هي أسلوبية الكاتب ، تهدف إلى الكشف عن شخصية المؤلّف عبر تفحّص أسلوبه .

أما دراسته النفسية لا يستهدف من ورائها نقص الوجود الواقعي للكاتب أو معطيات سيرته و مقاصده بل كانت آليات التحليل الممارس مقصورة على مستوى المشاعر المتضمّنة في الأثر الأدبي مباشرة.و عليه فإن أسلوبيته تقوم على البحث على الجذور النفسية لظاهرة الإنزياح في الأسلوب مقارنة بالإستعمالات الشائعة و النظر إليه بإعتباره سمة معبّرة ثم الملائمة بينه و بين روح الأثر الأدبي و طابعه العام لإستخلاص الخصائص الفردية للعبقرية المبدعة " [2].

***الأسلوبية البنيوية :**

*المنهج الفيلولوجي ذو طبيعة استقرائية فهو يؤدي إلى إقامة البرهان على ما يبدو في الظاهرة ، نقلا عن المرجع نفسه ص : 11 . (صلاح فضل ، علم الأسلوب ص : 67)

[1]-نقلا عن المرجع نفسه ، ص : 11 (حسن ناظم ، البنى الأسلوبية ، دراسة في أنشودة " المطر " ، ص : 36 ، 37)

[2]-نقلا عن المرجع السابق ، ص : 11 ، (نور الدين السد ، الاسلوبية و تحليل الخطاب ، ج 3 ص : 71)

مع تطور اللسانيات برزت توظيفات لمصطلحات ترتبط بالتحليل الأدبي ، و طرق المعالجة النصّية من بينها مصطلح البنية ، و ينسب إليه اتجاه نقدي عرف بالبنيوية و قد مثلها " رومان جاكبسونroman jakobson " الذي ركزّ على الوظيفة الشعرية للّغة .

و قد حاول الدارسون في هذا الإتجاه مد جسور معرفية بين الأسلوبية و البنيوية ، و الخروج بمركب وصفيتنصهر فيه الرؤى و تذوي المسافات المحدّدة لخصوصيات كل منهما ، فتأكّدت آفاق الدراسة فيما عرف بالاسلوبية البنيوية ، هذا إذا تذكرنا بأن البنيوية اتجاه نقدي " ينظر إلى الاعمال الأدبية بإعتبارها نظما رمزية دلالية تقوم على مجموعة من العلاقات المتبادلة بين البنى الجزئية على العناصر المهيمنة على غيرها في العمل الأدبي " [1].

و البحث الأسلوبي البنيويلا يتوخى مصداقية النص أو مدى محاكاته الدقيقة للواقع ، لكنه يبحث عن انسجامه الداخلي برصيد وحداته المتنامية ، و إظهار جماليات مكنوناته من خلال التعامل مع تراكيبه اللغوية الواردة بالإشارة إلى علائقها و تتابعها و الوقوف على الفروق المتولّدة عن سياق الوقائع الأسلوبية .

و يدخل في هذا الإتجاه أيضا (ميشال ريفاتير) تنطلق أسلوبيته من مبدإٍ أساسي يمثل الأسلوب فيه كل شيء مكتوب و فردي قصد به أن يكون أدبا . و المهّم عنده هو ما يتولّد عن النص من ردود فعل لدى القارئ الممارس لفعل القراءة .

و هذا القارئ المقترح سمي القارئ العمدة أو القارئ الأوفى ، مفترضا أن يكون متّكئا على مرجعية ثقافية صلبة و مقدرة أدبية مميّزة و له ذوق جمالي ، فيمكّنه من الاستجابة للنص بما يتناسب و قيمة الظاهرة الأسلوبية التي يفرضها سياق النص .

[1]-نقلا نقلا عن المرجع نفسه ، ص ، 12، (د.صلاحفضل ، مناهج النقد المعاصر ،ص : 96)

عنى ريفاتير بالوظيفة الإتّصالية في معاينته للأسلوبو لكي يكتشف الظاهرة الأسلوبية يقول حسن ناظم :"ينبغي للأسلوبية أن تضع معايير مقاسية يقع على عاتقها التمييز بين الواقعة اللسانية و الواقعة الأسلوبية و مهّمة التمييز هذه تحال ضمن منظور ريفاتير على المخاطب بوصفه قطبا رئيسيا في عملية الإتصال و يشكل أكثر دقّة على القارئ الذي يتلّقى النص الأدبي بطريقة مختلفة عن الطريقة التي يتلّقى بها اللسانيون النص نفسه ، و من هنا تنصّب عناية ريفاتير على الطريقة التي بها يفك القارئ شفرة النص .و بقي في دراسته الأسلوبية مستندا إلى بنية النص اللسانية و لم يقصر عنايته عليها بل حاول وضع بؤرة أخرى للتحليل الأسلوبي تنظر إلى العوامل المقامية و الوظيفة الإتصالية و تمثلت هذه البؤرة في القارئ "[1].

و تتقاطع جهود ريفاتير في تركيزه على المتلّقي انطلاقا من الوقائع النصّية المتفاعلة و المؤثّرة مع ما قام به (رومان جاكبسون) من " تحليل البنى اللسانية في النص الشعري دون مراعاة العوامل المقامية أو الظروف النفسية للمؤلف أو القارئ ". بينما يبني ريفاتيرموضوعيته على استجابات القارئ التي و إن تكن في جوهرها ذاتية إلاّ أن{ منابعها لسانية في الأصل .إنّها أسلوبية تتعامل مع النصوص كنظم إشارية متضمّنة لأبعاد دلالية . [2].

***الأسلوبية الإحصائية :**

تحاول الوصول إلى تحديد الملمح الأسلوبي للنص عن طريق الكم و إبعاد الحدس لصالح القيم العددية و قوام عملها يكون بإحصاء العناصر اللّغوية في النص .[3]

[1]-المرجع السابق : ص: 13
[2]- المرجع السابق : ص: 13
[3]- نقلا عن المرجع نفسه ، ص : 14 (الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، دراسة في تحليل الخطاب ، ص : 19)

و قد جعلت من الأسلوب ظاهرة قابلة للقياس كمّيا ، و عمل الدكتور " سعد مصلوح " على عرضها و إبراز أهمّية الإحصاء في هذا المجال ، و على ما في الإحصاء من عيوب كإهمال القياس و تقديم الكم على الكيف و كثرة الأرقام و الجداول و البيانات إلاّ أنّه مهّم و له جوانبه الإيجابية .[1]

ذكر الدكتور سعد مصلوح في كتابه " الأسلوب دراسة لغوية إحصائية " ، " الجمل الإسمية و الفعلية ، و التراكيب و المجازات و استخدام وحدات معجمية معيّنة ، طول الجمل حين تحظى هذه السمات اللغوية بنسبة عالية من التكرار ، و حين ترتبط بسياقات معيّنة على نحو له دلالاته تصبح خواصا أسلوبية تظهر في النصوص بنسب و كثافة و توزيعات مختلفة ، و هذا ما يبرز أهمّية القياس الكمّي بإعتباره معيارا موضوعيا منضبطا و قادر على تشخيص النزاعات السائدة في نص معيّن أو عند كاتب معيّن ، و يطلق على هذا النوع من الدراسة مصطلح علم الأسلوب الإحصائي "[2].

و عنها يقول صلاح فضل :" أنّ بعض الباحثين العرب من اللّغويين خاصة و البلاغيين قد أولع بتوظيف المنهج الإحصائي في دراسة لغة الشعر و قدّموا ما يمكن تسميته قاعدة بيانات تصلح أساسا لإستخلاص بعض النتائج المهّمة المرتبطة بطبيعة اللّغة الشعرية و مظاهرها المتعدّدة " [3]

***المدارس الأسلوبيةالحديثة :**

إنّ المحاولات الكثيرة في تعريف ماهية الأسلوب ، أو ما ينبغي أن يكون عليه تتناسب طردا مع عدد المساعي التي شهدتها الأسلوبية من أبحاث ، فتعدّدت اتّجاهات البحث ، منهاما يهتم بعمليات ما قبل النص (أسلوبية الإنشاء) ، و ما يهتم بما بعد النص (أسلوبية التلّقي) ، و ما

[1] - المرجع نفسه ، ص : 14
[2]- نقلا عن المرجع نفسه ص : 14 (د. سعد مصلوح ، الأسلوب دراسة لغوية و إحصائية ، ص : 34)
[3]- المرجع السابق ص : 14

يهتم بالنص ذاته (أسلوبية النص) ، و ما يزاوج بين هذا و ذلك ، و نشير إلى أهم الإتجاهات الحديثة بالمخطط التالي : [1]

[1]- المخطط مستوحى من : فرحان بدري الحربي ، الأسلوبية في النقد العربي الحديث ، ص : 17، 18 ، نقلا عن : رسالة ماجستير ، تخصص : إبداعية الأسلوبية (ابن حميدس الصقلي ، دراسة بلاغية و أسلوبية في الديوان) من إعداد : يوسف بلعيد ، إشراف : أ د، عيد اللطيف شريفي ، 2008-2009 ، ص : 24، 25.

2-المناهج التي تهتم ببنية النص ضمن عملية التحليل

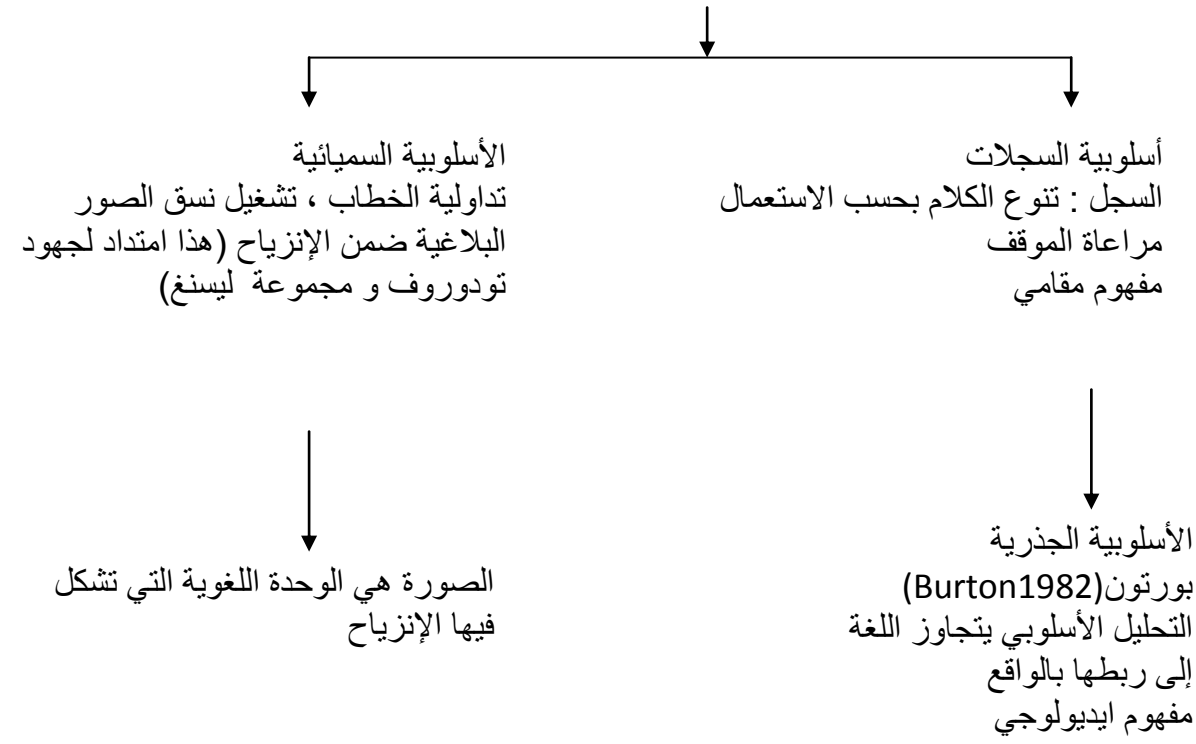

الفصل الثالث :

مقارنة بين البلاغة و الأسلوبية

المبحث الأول: البلاغة و الأسلوبية

المبحث الثاني : أوجه الإختلاف بين البلاغة و الأسلوبية

المبحث الثالث:أوجه التلاقي بين البلاغة و الأسلوبية

المبحث الرابع: التحليل الأسلوبي و التحليل البلاغي

المبحث الأول : البلاغة و الأسلوبية .

البلاغة –كما يرى " بي يرجيرو"- فيالأصلفنا لتأليف الخطاب ،ثم انتهت إلى احتواء التعبير اللساني كلّه ،و بالاشتراك مع الفنون الشعرية احتوت الأدب جميعا .فالأسلوبية هي دراسة المتغيّرات اللسانية إزاء المعيار القاعدي ،و البلاغة تواجه هذه القواعد ،و القواعد في المنطق العلمي هي مجموعة القوانين ،أي مجموعة الالتزامات التي يفرضها النظام ، و القواعد هي العلم الذي لا يستطيع الكاتب أن يضعه .

و بناءا على هذا يقر " جيرو" بأن الأسلوبيات بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف : إنها علم التعبير ، و هي نقد الأساليب الفردية ،و من ثمة فالبلاغة فن التّعبير الأدبي و قاعدة في الوقت نفسه ،و هي أيضا أداة نقدية تستخدم في تقويم فن كبار الكتاب .

انطلاقا من هذا الطرح تتكشّف أهميّة البلاغة عند اللسانيين ، فالناقد "جورج مونين " يدعوا النقاد و الدارسين إلى وجوب اعتماد النظرة المعيارية للوجه البلاغي القديم، لأنّ قواعد البلاغة القديمة تساعد على فهم الأدب و أسبابه، فهي ما تزال تدقّق الوصف ،و تصيب –إلى يومنا هذا –بفضل قوالبها الأسلوبية كالاستعارة ،و الكناية ،و التورية ،و الطباق ،و التكرار ،و غيره.

بهذه المبرّرات العلمية ينتهي "مونين " إلى أنّ كل أسلوبيات تفضي إلى بلاغة ، و ذلك لأن الأسلوبيات و البلاغة يقيمان منذ زمن علاقات وطيدة تتقلّص الأسلوبيات أحيانا حتى لا تعدو أن تكون جزءا من أنموذج التواصل البلاغي ، و تنفصل حينا عن هذا الأنموذج و تتّسع حتى تكاد تمثل البلاغة كلها باعتبارها مختزلة.هذه العلاقات بين الأسلوبيات و البلاغة – كما يراها فتح الله سليمان –: "تمثل أساسا في أنّ محور البحث في كليهما هو الأدب [1]، إلا أ نّ

[1] - الاسلوبيات و تحليل الخطاب ، رابح بوحوش : ص 48

النّظرة إلى هذا الأدب تختلف في المنظر ور الأسلوبي عنها في المنظ ور البلاغي ، فالأسلوبيات تتعامل مع النص بعد أن يولد ، فوجودها تال لوجود الأثر الأدبي ، و هي لا تنطلق في بحثها من قوانين سابقة ،أو افتراضات جاهزة ، كما أنه ليس من شأنها الحكم على قيمة العمل المنقود بالجودة ، أو الرداءة [1].

أما البلاغة فتستند – في حكمها على النص – إلى معايير ،و مقاييس معينة ، و هي من حيث النشأة موجودة قبل وجود العمل الأدبي في صورة مسلمات ،و اشتراطات تهدف إلى تقويم الشكل الأدبي حتى يصل إلى غايته المرجوّة ،و يبلغ به المنشئ ما يسعى إليه من إيصال الفكرة أو المعنى ،و التأثير ،و الإقناع ،و بث الجماليات في النص.

و علاقة الأسلوبيات بالبلاغة عند صلاح فضل هي علاقة الحياة بالموت ،أو الموت و الحياة ذلك أن الأسلوبيات – كما يراها – عندما شبّت أصبحت هي البلاغة الجديدة في دورها المزدوج إذ هي علم التعبير ،و نقد للأساليب الفردية ، لكن دورها هذا لم يتكوّن دفعة واحدة ، بل أخذ ينمو ببطء تدريجي يكتسب خلاله العلم الجديد تحديدا دقيقا لموضوعه و أهدافه ،و مناهجه و يتبيّن ما ورثه من أمته ليختبره، و يفيد منه.

و الدكتور محمد عبد المطلب يردّ علاقة الأسلوبيات بالبلاغة إلى مفهومي : القصور و الجمود فيرى أن قصور البلاغة، و عدم تجاوزها بعض الإشكالات المعرفية قد أتاح للأسلوبيات أن تكون الوريث الشرعي للبلاغة " ذلك أنّ الأخيرة وقعت في دراستها عند حدود التعبير ،و وضع مسمياته، و تصنيفها ،و تجمّدت عند هذه الخطوة، و لم تحاول الوصول إلى بحث العمل الأدبي الكامل كما لم يتبين لها بالضرورة دراسة الهيكل البنائي لهذا العمل و كان ذلك تمهيدا

[1] الأسلوبيات و تحليل الخطاب ، رابح بوحوش ،ص 48-49.

الحلول (الأسلوبيات) في مجال الإبداع و بديلا يحاول تجاوز الدراسة الجزئية القديمة ،و إقامة بناء عملي يبعد عن الشكلية البلاغية التي أرهقتها مصطلحات البلاغيين بتعريفات كادت تغطّي على كل قيمها الجمالية.

و تعرّضت الآراء السابقة للعلاقة بين الأسلوبيات ،و البلاغة على أسس لغوية ،و ذلك بتناول الأجناس البلاغة التي لها أهمية خاصة في مجال اللسانيات النظرية، و التطبيقية .

و البلاغة ، كما هو معلوم ، تتضّمن أجناسا علمية تستخدم في إنتاج النص و التي بمساعدتها يمكن إدراك أسرار الخطاب ،و نشأته و ظروفه، و هي عوامل تقوم بدور مهّم في مساعدة القارئ لاسترجاع الأسلوب في الأسلوبيات ،و في البلاغة يتعدى مجرد تأثير الحديث على الجماهير فقامت- بناء على هذا الجانب- نظرية النص العلمية التي وضعها " برويز" في إطار الدراسات الأدبية الألمانية .[1]

غير أن هناك من يفرق بين الأسلوبيات و البلاغة ،ليس على أساس القطيعة و الهجر ،بل على اعتبار أن الأسلوبيات محاولة منهجية تركز على فهم النص من خلال لغته لإدراك علاقته الداخلية ،و للكشف عن قيمة بنيته الفنية التي يتجلّى فيها تحول الحقائق اللغوية إلى قيم جمالية ، و هي تنحو منحى علميا من حيث أن معطيات موضوعها تتجهور حول مادة مجردة هي اللغة .

ورد الدكتور صلاح فضل في آخر مؤلفاته العلاقة بين الأسلوبيات و البلاغة إلى مفهومي التجريد،و التنظيم التقني اللذين يميزان العلمين ، يقول :' إذا تأمّلنا العلاقة بين علمي الأسلوب و البلاغة الجديدة ، وجدنا أنها تقوم على أساس الأسلوب دراسة للإبداع الفردي و

[1] المرجع السابق ، ص : 49-50.

تصنيفللظواهر الناجمة عنه ، و تتبّع للملامح المنبثقة منه حتى إذا بلغت عملية التصنيف درجة محدّدة في التجريد الذي يسمح برصد أشكال التعبير، و قوانينه العامة المستخلصة من البحوث التجريبية ، المتوافقة أو المتخالفة مع ما استقرّ في الوعي النقدي من معطيات أمكن عندئذ الدخول في دائرة البلاغة العامة ، إذ تستقطب بدورها خلاصة النتائج الأسلوبية ،و تلتمس الاتّساق ،و الانتظام المعرفي و التقني فيها.[1]

و تلعب (البلاغة) دورا أساسيا بين علوم الأدب ،و نقده ، إذ تعلم الأفضل من القول ،و الأقوم من التراكيب ، بمعيارية تقوم على الذوق السليم ، و الحدب على التراث ،و لكن طموح (الأسلوبية) اليوم أن تكون فرعا في شجرة الألسنيّة ، أي علم اللّغة الحديث ، ينبهنا إلى حقيقة البحث البلاغي ، و معياريته ،و أيضا حدودهما.

إنّ الأسلوبية تحدّ بحثها بالظاهرتين المتكاملتين ، المتساندتين في الأدب ، شعره ،و نثره ،و هما الظاهرة الأسلوبية ،و الظاهرة اللغوية ، إنها تريد على الخصوص ،دراسة (الأسلوب) من خلال اللّغة ،و ليس من خلال القواعد المعيارية ، السماعية أو القياسية التي للبلاغة ، أو سواها .[2]

تمثل اليونان (البلاغة) تمثلا شموليا، على أنّها فن أو صنعة ، هي الجانب النظري لممارسة التأليف الخطابي ،و الذي هو أبرز أنواع النثر عندهم وقتها ، و أنّها بالتالي ، فن الإقناع ،و تتوجّه إلى الحاكم ،و النظّار ، في حين نشأت البلاغة العربية ،و ترعرعت جنبا إلى جنب مع علوم الأدب و الكلام ، مثل النحو و الصرف، و النقد الأدبي ،و فقه اللّغة ،و علم الكلام ،و غيرها .إن اللغة العربية لغة معرّبة ، أي تصطنع الأعراب ، فقد انصرفت همم البلاغيين إلىدراسة

[1] المرجع السابق ، ص :50-51.

[2] اللغة و الأسلوب ،(عدنان بن ذريل) ، مراجعة و تقديم : حسن حميد ، ص :92-93.

التراكيب اللّغوية ، و النّحوية باعتبارها تراكيب بلاغية ، فقالوا عن المعاني الإضافية التي لهذه التراكيب أنها (معاني النحو) ، كما قالوا في المجاز العقلي أنه مجاز إسنادي ، أو حكمي .[1]

لم تبق البلاغة عبر تاريخها الطويل – و حالها في هذا حال معظم العلوم الإنسانية الأخرى- رهن وضعية ثابته مستقرة من حيث مدى شمولها و اتّساع مجالها و مدى فائدتها ، فقد ' كانت البلاغة ، في الأصل ، فنا لتأليف الخطاب .ثم انتهت إلى احتواء التعبير اللساني كله ، و الاشتراك مع الفنون الشعرية ، احتوت الأدب جميعا ، لكن هذا الوضع المتميّز لم يكتب للبلاغة أن تحتفظ به طويلا ، إذ سرعان ما أضافت البلاغة –كما يخبرنا تودوروف- هدفها النفعي المباشر ' كما أنّها لم تعد تدرس كيف يقوم الإقناع، و اكتفت بصياغة الخطاب الجميل ، فأدى بها ذلك إلى التخلّي عن الخطاب السياسي ،و القضائي ، إلى آخره ،و لم يبق لها إلا الأدب ميدانا تعمل فيه .ثم إنها تقلصت بعد ذلك أكثر فلم تعد تعمل إلا في حدود خصائص التعبير اللغوي للنص ، غير أن تطوّر الدراسات اللغوية أدى إلى مولد اللسانيات و انفصالها عن الدرس البلاغي ، فلمّا استقلت هذه بنفسها ،نافست البلاغة في هذا الميدان أيضا و اضطرتها إلى الانسحاب إلى جزء منه لتدرس الصورة فقط، و لكنها لم تلبث فيه إلا عشية و ضحاها ، فقد أخذت الدراسات الأسلوبية معزّزة بالدراسات اللسانية تغزو هذا الميدان كذلك ، و تزاحمها فيه ، و مهما يكن ، فقد اختفت البلاغة من المناهج الدراسة كمادة إجبارية ، كما آلت أقسامها إلى النسيان'.[2]

[1] المرجع السابق ، ص 93.

[2] الأسلوبية ، الرؤية و التطبيق ، يوسف أبو العدوس ،دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، الطبعة الأولى ،2007م ، ص 61.

و قد كان يمكن للبلاغة أن تبقي تتبوّأ لنفسها مكانا في الدراسات اللّغوية و اللّسانية الحديثة، لولا بروز علم جديد من عباءة اللسانيات ،و استوائه علما متميّزا ذا مناهج خاصّة، و توجّهات معيّنة على مستويي التّنظير و الممارسة معا ، و هو 'الأسلوبية '.فعلى الرّغم من اعتراف كثير من الأسلوبيين المعاصرين بأنّ كثيرا من مباحث البلاغة القديمة ما زالت محتفظة بجدّيتها و أهمّيتها برغم الإساءة التي لحقت بها على المستوى التنظيري في الشروح و التلخيصات ، فانّ هذه الحقيقة لم تشفع للبلاغة في شيئ .و بقيت الدراسات الأسلوبية المعاصرة تردّد المقولة التي مفادها 'أن الأسلوبية وليدة البلاغة و وريثها المباشر، معنى ذلك أن الأسلوبية قامت بديلا عن البلاغة'.و على الرّغم من أنّه لا يسع المرء أن يتفكّر لحقيقة تنامي العلوم و تطوّرها المستمر ،و لاسيّما في إطار العلوم الإنسانية ، فانّه ليس من اليسير عليه مطلقا أن يتقبل فكرة وراثة علم ما لعلم سابق ،طالما أن هذه الوراثة تحمل في طياتها الدلالة على إفناء العلم السابق بوصفه علما مستقّلا له تميّزه الخاص ، و اقتصار كينونته ، فيما بعد تحقيق الوراثة ، على تلك الكينونة الظلية التي لا تكاد تبين، ففرق كبير أن نقول : إن علما ما قد شهد تطوّرات كبيرة إلى الأمام ،و أن تقول : إنّ علما ما قد ورثه علم ثان، ففي الحالة الأولى نحن نتكلّم عن تطوّر طبيعي ، تفرضه الحياة، و يحتّمه منطقيا ، بينما في الحالة الثانية نحن ندّعي أنّ العلم الأول لم يعد يجد أمامه أسباب البقاء متاحة ، فتمّ شطبه و إحلال علم جديد محله ،و هذه الدعوى ليس من السهل التشبّث بها ، ما لم تقم على أدلّة مقنعة ،بل شديدة الإقناع.يلحظ الدارسون علاقة حميمة بين البلاغة و الأسلوبية ،بيان ذلك ، أن غير واحد منالأسلوبيين قد أكّد وجوه العلاقة بينهمافبييرجيرو يؤمن بأنّ الأسلوبية وريثة البلاغة ،و هي بلاغة حديثة ، ذات شكل مضاعف إنها علم التّعبير و نقد الأساليب الفردية .[1]

[1] المرجع السابق ،ص 61-62.

أما شكري عياد فيرى أن الأسلوبية ذات نسب عريق في العربية ، كذلك فانّه يصدر كتابه 'مدخل إلى علم الأسلوب' بقوله : 'و لكنني إذ أقدّم إليك هذا الكتاب لا أغريك ببضاعة جديدة مستوردة ، فعلم الأسلوب ذو نسب عريق عندنا ، لأنّ أصوله ترجع إلى علوم البلاغة'.

و يمكن القول إن الأسلوبية كعلم ألسني حديث لا يمكن أن تكون بديلا عن النقد الأدبي و البلاغة، فالبلاغة لا يمكن الاستغناء عنها ، و الأسلوبية لا تستطيع أن تقوم مقام البلاغة ، رغم أنها تستطيع أن تنزل إلى خصوصيات التعبير الأدبي ، كانت البلاغة و حدها تعني بها في التركيب و الدلالة على السواء.[1]

[1] المرجع السابق ، ص :62.

المبحث الثاني :أوجه الاختلاف بين البلاغة و الأسلوبية .

يمكن إجمال أوجه الاختلاف بين البلاغة و الأسلوبية فيما يلي :

(1)-يشكّل المخاطب خلافا بين البلاغة و الأسلوبية : ففي الوقت الذي عنيت فيه الأسلوبية بالمخاطب (المبدع) ،و بحالته النفسية و الاجتماعية عناية كبيرة بوصفه أحد الأركان الثلاثة للعملية الإبداعية ، فانّ البلاغة أغفلت المخاطب ، فتحدّث العلماء عن مطابقة الكلام لمقتضي الحال حديثا مفصّلا. و لكن المأخذ الذي يؤخذ على البلاغة هو أنّها لم تول في المقابل ، المتكلّم العناية التي يستحقها، فتّم إهمال حالته النّفسية وقت كلامه، و وضعه الاجتماعي الذي قد يترك آثارا واضحة على سمات أسلوبية ،و يرجع بعض الباحثين السبب في إهمال حالة المتكلّم إلى الصفة الموضوعية أو " اللاّشخصية " للبلاغة العربية.

و من هذا المنطلق أغفلت البلاغة العربية في معظم الأحيان الخصائص الفردية ، و الفروق الفردية أو الطبقية أو البيئية ، لأنّ قوانينها متحق{قة و ثابته في القرآن الكريم، ذلك الأثر اللّغوي المثالي الذي لا يمسّه تغيير و لا تبديل و لا اختلاف ، و هو مع ذلك يعيش مع الناس إلى درجة أن تصبح قوانينه هي قوانين حياتهم في شتّى جوانبها ، و ليس الجانب الفني أقل هذه الجوانب، لهذا لم تلتفت البلاغة العربية إلى الفروق اللّغوية الفنية الناشئة عن الفروق الطبقية كما التفتت بلاغة اليونان و اللاتين ،و لا إلى الخصائص الأسلوبية الفردية كما التفت علم الأسلوب الحديث ، فالفروق عندها لا تعكس فروقا بين الشخصيات أو البيئات الاجتماعية ، بل فروقا في المستوى الفني ، أي في درجة القرب من ذلك الأثر المثالي من هذه الجهة تكون درجات الاستحسان.و هنا لابد من إيراد الملحوظات الآتية :[1]

[1] - الاسلوبية الرّؤية والتّطبيق ، يوسف ابو العدوس : 62

-إنّ المبدع في الأسلوب هو الذي يبدع اللّغة إبداعا يتناسب مع تكوينه النفسي و الاجتماعي و الثقافي ، فينشئ نصا له خصائص فردية مميزة تؤثر في المتلقي ، الذي يقوم بتحليل النص مبديا خصائصه و خصائص مبدعه، بينما تغيب شخصية المبدع في البلاغة العربية القديمة ، التي اعتمدت على النماذج الراقية و المصطفاة ، و على بلاغة اللغة نفسها.[1]

-تهتم الأسلوبية اهتماما كبيرا بقضية الذوق الشخصي للمبدع ، الذي يقوم باختياراته ،و تأليف نصوصه معتمدا على هذا الذوق الشخصي ، لا على مثال مصطفى أو متعال فوق الزمن، و من ثم فإنّ لكلّ مبدع أسلوبا خاصا به ، و هذا الأسلوب يكشف خصائص المبدع و تجربته من جميع جوانبها .

-و استفادت الأسلوبية من تطور العلوم المختلفة في الوقت الحاضر فائدة عظيمة ، بينما لم تكن هذه العلوم متطوّرة في القديم كما هي عليه الآن.

(2)-يتجه البحث البلاغي إلى الاختصاص بنوع خاص من الكلام و الكلام الأدبي ، أمّا التحليل الأسلوبي فيشتمل على كل أجناس الكلام.

يعالج علم البلاغة الإمكانات التي تنتجها قواعد اللغة في الاستخدام التعبيري ، بينما تعالج الأسلوبية الكلام و الأداء معا ، و هذا يدل على أن قواعدية البلاغة و معاييرها تتجه إلى معرفة درجة فصاحة القول و مدى ما تمثل في الاستخدام التعبيري قواعدية التعابير اللغوية المستخدمة ، فهذه التعابير تكون واردة في سياق كلام (لغة) أو سياق أداء ،و هو الكلام المختص بفرد، و هذا يؤكّد معيارية القواعد في التناول و التحليل ،و بالمقابل نلاحظ أن دائرة

[1] الأسلوبية الرؤية و التطبيق ، يوسف أبو العدوس ، ص : 62-65.

الأسلوبية أوسع من حيث المهّمة، فهي تتجلّي في معرفتها لمختلف أدوات التعبير ، من حيث وصفها و تحديدها و تصنيفها و معرفة نماذج الملفوظ من جهة أخرى.

إن الدراسة البلاغة تقصر جل اهتمامها على تصنيف الأشكال البلاغة (التشبيه، المجاز، الاستعارة.....) داخل النصوص الأدبية ، و من هنا تأتي عنايتها باللغة الأدبية عموما و الشعرية خاصة .[1]

و لذا فإنّ البلاغة تبتعد عن دراسة أنماط الكلام المتعدّدة في السياقات اللغوية و الاجتماعية المختلفة ، أما الأسلوبية المعاصرة فقد اتخذت لنفسها آفاقا واسعة رحبة ، تمثلت في استيعابها لأنماط الكلام المختلفة ، ومن هنا عنت الأسلوبية نفسها بدارسة التنوع اللغوي عامة، سواء أكان هذا التنوع قائما على أساس إقليمي أم اجتماعي أم طبقي ، فكما اهتم اللغويون الجغرافيون و علماء اللهجات بتتبّع و حصر أوجه التنوع اللغوي و اللهجي عند جماعة لغوية معينّة ، أو في مكان ما ، فانه من المفترض أن يعني الأسلوبيون بتتبع تنوعات الأسلوب و تشكلاته عبر الزمان و المكان و المجتمع و البيئة ،فيظهرون أوجه الاختلاف بين أسلوب المدينة و أسلوب البادية في التعبير عن غرض معيّن ،و تسجيل هذه الاختلافات في دراستهم الجغرافية.

(3)-يعد المنطق الأرسطي الأساس المنهجي الذي ضبطت فيه علوم البلاغة ، في حين تحددت مجالات الأسلوبية في إطار اللسانيات المعاصرة .

اعتنت البلاغة القديمة بالحالة العقلية للمخاطب أكثر من حالته الوجدانية ، و يرى الأسلوبيون أن البلاغة ظلّت لقرون طويلة مدينة للنموذج الأرسطي ،و هذا ما أقضى بها إلى العجز عن

[1] المرجع السابق ، ص : 65-66.

احتضان إمكانات التعبير اللغوي التي تتجاوز البنية السطحية ،و توغل في شبكات الأبنيةالتحتية للتركيب ، و لم يكن هذا العجز إلا لإعتماد البلاغة على ربط اللغة بالواقع ،و حصر وظيفتها في الإشارة إليه .

و كان لتسرّب المنطق إلى المباحث البلاغة عدد من السلبيات منها : شدّة ولع البلاغيين بالتقسيمات و التعريفات الجامعة بما تحتوى عليه من حدود و رسوم، و هذا أدى إلى جفاف البلاغة و فقدانها رونقها الحيوي الجمالي.

يضاف إلى ذلك أنّ البلاغة تأثّرت تأثرا شديدا بعلمي النحو و المنطق، ومن هنا بقيت البلاغة مزيجا من علم الدلالة، و علم الأسلوب ،و اضطربت بين هذين العلمين، علما بأنّها بقيت تحت وطأة النحو و المنطق، فلم تحدّد الظاهرة المدروسة تحديدا دقيقا، و ظهر ذلك واضحا في مسألتين مهمّتين هما : مسألة خلاف مقتضى الظاهر ،و مسألة الوضوح.

إن الأسلوبية المعاصرة فرع من فروع اللسانيات المعاصرة ،و قد استفادت من المصطلحات اللسانية دوما في توضيح مفاهيمها النقدية ، ذلك لأنها الفرع الأكثر حداثة ،و صرامة من فروع اللسانيات العامة، و من المصطلحات التي استفادت منها : اللغة و الكلام عند "دي سوسير"، و الكفاية و الأداء عند "نشومسكي"، في توضيح المعيار اللغوي الذي تجري عليه الانزياحات الأسلوبية ، فاللغة هي النموذج ،و الانزياح ،جار في الكلام الذي هو فردي و إبداعي –كما استفادت من مصطلحي الدال و المدلول عند " دي سوسير"، فجعلت النص كلّه دالا، و المعنى الذي ينبغي الوصول إليه مدلولا.[1]

[1] المرجع السابق ، ص : 66-69.

و استفادت الأسلوبية من اللسانيات العامة مصطلحي السنكرونية و الدياكرونية في التّأطير لمناهج بحثها في النص، و مصطلحي البنية العميقة ،و البنية السطحية ،حيث أفادت منهما في توضيح العدول الذي يحصل نتيجة الإنزياح عن اللغة النموذج.

و في الإطار نفسه استفادت الأسلوبية من معجم اللسانيات العامة مصطلحات مثل : التعقيد و الغموض ،و الجمل و النواة في توضيح خطابها الثقافي.

و خلاصة القول إنّ مجالات التحليل لدى الأسلوبية ،قد تجاوزت حدود اللسانيات، فأخذت من علم الاجتماع و علم النفس فانضوت تحت مظلتها ، و هذا يجعلنا نقول بأن الأسلوبية قد مدّت يدها إلى بعض العلوم من أجل إجراء تحليلاتها، و قد أكد كريسو في هذا الصدد أنّ العمل الأدبي يتضمّن الجماليات ،و هذه الجماليات هي وسيلة لضمان استمرار انتباه القارئ.

و جاءت محدودية البلاغة بصفتها منهجا لتتّفق مع معاييرها التعليمية الواضحة فالمنهج التعليمي للبلاغة فرض حدودا دقيقة حتى يحقّق هذا الجانب أهدافه بدقّة، و من ثم لم تبق حدود كل من البلاغة و الأسلوبية ضمن أطر معينة، بل بفعل الزمن و العامل البحثي و التحليلي اتّسعت مجالاتهما و أدواتهما في الدراسة النقدية.

(4)-يغلب على علوم البلاغة الطابع التفتيتي ، أي تجزيء الظاهرة الأدبية ، بينما تغلب تصوّرات البنية و المنظومة في كثير من الدراسات الأسلوبية .[1]

و يتّضح الطابع التفتيتي للبلاغة في مباحث البلاغيين العرب متمثلة بكتابات السكاكيمثلا، الذي عرف بتجزئ البلاغة إلى أقسام،و الأقسام إلى أنواع ،و الأنواع إلى أصناف ،و هكذا

[1] المرجع السابق ، ص : 69

الأمر حتى تحصّل لديه عدد كبير من الأقسام ،و أدّى ذلك المظهر التفتيتي للدراسة البلاغة في النص الأدبي ، فكانت عناية كثير من البلاغيين العرب في النص الأدبي متمحورة حول أي من الأقسام البلاغة.

انّ الخطوط الكبرى للبلاغة تقوم على ثلاثة محاور هي : المعاني ، البيان، البديع ، وظلّت علوم البلاغة الثلاثة منفصلة ،و لم يتح لها مجال التلاقي في إطار واحد مخصب ، يفيد في تحليل شمولي يتناول بنية النص عامة .أمّا الأسلوبية فإنّها تهتّم بالنص و تدرسه من الداخل لكشف طبيعة العناصر اللغوية التي نظمت في نسق واحدة متآلف ، بمعزل عن ربط هذه العناصر بسياقات خارجية.[1]

فالأسلوبية تقرأ النص قراءة داخلية لاستخلاص سماته الايجابية و الجمالية من خلال صياغاتها اللغوية، ومن ثم فإن لكل نص خصوصية معينة ، تختلف عنها في نص آخر ، فالأسلوبية ، ليست عملية تفسير فقط،و هي ليست منهجا يأتينا بما لا نتوقّع ،و إنما هي نظرة جمالية تتخلّق من خلال الصياغة ، أي أنّ القارئ الأسلوبي يستكشف السمات الإيحائية و الجمالية و التأثيرية من خلال قراءته للنص الأكبر و البحث فيه عن الأنماط الأسلوبية المختلفة .

أمّا البلاغة فإنّها لا تدرس النص كاملا، بل تفتّت النص ،و تنتخب ، و تجزّئ البيت و البيتين أو الجملة و الجملتين ، و تحاكم المنتخب على أساس موافقة القواعد الموضوعة سلفا ،"فالتحليل البلاغي حصر في الجملة بوصفها أكبر وحدة قابلة للتحليل ، أي أن البلاغة اعتمدت على نحو الجملة، فكان تركيزها على الشاهد و المثال ، أما التّحليل الأسلوبي فقد التفت إلى نحو النص ، حيث يجري تطوير وسائل التّحليل اللّغوي ،و رفع كفاءتها لتكون

[1] المرجع السابق ، ص :69-71.

قادرة على معالجة العلاقات النحوية فيما وراء الجملة ،و على وصف الخواص الأسلوبية التي تحقّق الاستمرارية البنيوية للنص ، و وسائل الربط و السلك اللغوية و المضمونية .

(5)-البلاغة علم معياري يرسل الأحكام التقييمية ،و يرمي إلى تعليم مادته ، و موضوعه: بلاغة البيان، بينما تنفي الأسلوبية عن نفسها كل معيارية و تعزف عن إرسال الأحكام التقييمية بالمدح أو التهجين ،و لا تسعى إلى غاية تعليمية البتّة.

نظرا علماء البلاغة العرب ، إلى اختلاف طرق التعبير ، تبعا لاختلاف مقتضى الحال ،و لكنّهم لا يعدون هذه الاختلافات خروجا عن الإمكانات الثابتة للّغة ،و بناءا على ذلك ، فالقوانين التي يصل إليها علم البلاغة قوانين مطلقة لا يلحقها التغيير من عصر إلى عصر ،أو بين بيئة و بيئة ، أو شخص و شخص ، فمن الضّروري أن تراعي دائما كما تراعي قوانين النحو ، فالبلاغة تستند في حكمها على النص إلى معايير و مقاييس معينة ،و هي من حيث النشأة موجودة قبل وجود العمل الأدبي في صورة مسلمات و اشتراطات تهدف إلى تقويم العمل الأدبي حتى يصل إلى غايته المرجوة ، و يبلغ به المنشئ ما يسعى إليه من إيصال الفكرة أو المعنى و التأثير و الإقناع وبث الجماليات في النص الأدبي ، و بعد خروج النص إلى الواقع بتقييمه لتحكم بمدى مطابقته لما قعدته وقننته ، و إلى أي حد راعى صاحبه القواعد البلاغية و قوانينها.[1]

أما الأسلوبية فإنها تتعامل مع النص بعد أن يولد،و هي لا تنطلق في بحثها من قوانين مسبقة أو افتراضات جاهزة، كما أنه ليس من شأنها الحكم على قيمة العمل المنقود بالجودة ، أو الرداءة، فالدراسة الأدبية لا تتجرّأ أن تملي رأيا على الشعراء ،و لا تقدّم توجيهات بشأن صياغة

[1] المرجع السابق ، ص: 71-73.

الأسلوب ، بل هي تفحص الأساليب التي جرت صياغتها فعلا .و بكلمة أخرى فالأسلوبية تهتم بجميع أركان العملية إلابداعية : المبدع و المتلقي و النص ، تحلل النص لتستخلص خصائصه ، بينما البلاغة القديمة تعتمد على معايير جاهزة ، و من ثم ترصد هذه المعايير الجاهزة في النص بوصفها طرقا مختلفة للتعبير عن نية المبدع تبعا لاختلاف مقتضيات الحال ، إذن الأسلوبية علم لغوي حديث ينظر إلى اللغة بوصفها كائنا حيا متغيرّ ، فهو إذ يسجل الظواهر و يتعرّف بما يصيبها من تغيير ،و يحرص فقط على بيان دلالاتها في نظر قائليها و مستمعيها أو قارئيها، فطبيعي ألا يتحدث عن صحة و خطأ.

(6)-يؤخذ على البلاغة أنّها قد فصّلت الشكل عن المضمون في الخطاب الألسني ، فميّزت في رسائلها العملية بين الأغراض و الصّور، بينما ترغب الأسلوبية عن كل مقياس ما قبلي ، و ترفض مبدأ الفصل بين الدال و المدلول ، إذ لا وجود لكليهما إلا متقاطعين و مكونين للدلالة ، فهما لها بمثابة وجهي ورقة واحدة.و من هذا المنطلق اهتمّت البلاغة بدراسة الجملة أو الجملتين ،أو الأبيات المحدّدة من الشعر،و لم تنظر إلى السياق أو النص نظرة كلّية شاملة ، و لم تدرس الجزئيات التي قامت بدراستها على أنها لبنات متكاملة يبنى منها النص الكلّي ،بل درستها متفرّقة لا يقوم بينها أي رابط ،و قد انطلقت نظرة البلاغة هذه من خلال فصلها بين الشكل و المضمون ، فعندما درست الشكل تناولت الألفاظ و الجملة، و البيت من الشعر ،و عندما تناولت المعنى نظرت إليه نظرة ضيقة ،و هي مدى ارتباط ذلك المعنى باللفظ الذي وضعله ، دون نظر إلى السياق و النص و مدى التغير الذي يصيب الألفاظ عندما توضح في نص أو سياق معين.[1]

[1] المرجع السابق ، ص: 73-75.

و من ثم فقد وضعت البلاغة للشكل معايير و أسسا لا يحيد عنها، كذلك وضعت للمضمون أسسا خاصة ، وفصلت بينهما، و حاكمت كل طرف وفق المعايير التي وضعت له، بينما نظرت الأسلوبية للشكل و المضمون نظرة كلّية ، و أنّهما شيء واحد ،فالنص كل متكامل ،له تفرده، و له خصوصيته، و يقوم المتلقّي بتفسيره وفق نظرته و ثقافته ، كما تتراءى له الكلمات التي شكّلت النص بإيحاءاتها المختلفة، و وفق علاقاتها مع الكلمات الأخرى، و وفق مخزونه الثقافي الذي يجعله يتفاعل مع النص ، و يفتّش عن المزايا الأسلوبية التي تميّزه عن غيره.

إن اختلاف نظرة البلاغة عن الأسلوبية إلى النص يترتّب عليه اختلافات في تحليل النص و طرق تناوله، إذ أن كلا منهما يعالج التوظيف اللغوي في النص نفسه بشكل مختلف ، فهذا التوظيف اللغوي يعالج في البلاغة معالجة معجمية و نحوية و بيانية و تركيبية من حيث الصحة و الخطأ، و المناسبة للمقام ،و الفصاحة و عدم الفصاحة ،و بينما يعالج في الأسلوبية المفردات و الجمل و النصوص معالجة نفسية و اجتماعية و سياسية .

و خلاصة القول، فان الأسلوبية علم تقريري وصفي و موضوعي ، فهي تضيف و تحلل و تصنف بعيدا عن الذاتية و عن المعيار، و البلاغة فن القول: أي أصول نظرية و تطبيقية له ، و من طبيعتها أنها ذوقية ترسم القواعد و تعلّم الكتابة الأفضل .

(7)-يمكن للأسلوبية أن تبحث ظواهر الأسلوب بشكل تزامني تعاقبي ، بينما لا تقوم البلاغة بمثل هذا البحث في أغلب الأحيان .[1]

يقصد من هذا الاختلاف أن البلاغة تنظر إلى اللغة على أنها شيء ثابت ، في حين أن الأسلوبية تسجل ما يطرأ عليها من تغيّر و تطوّر فيما يسمّى بالأسلوبية السكونية و الأسلوبياتالحركية و مع أن

[1] المرجع السابق ، ص: 75

علم البلاغة يلاحظ اختلاف طرق التعبير تبعا لاختلاف مقتضى الحال، فان هذه الاختلافات لا تخرج عن الإمكانيات الثابتة للغة العربية ، هل يستخدم التقديم و التأخير مثلا بنفس الكثرة في النثر كما يستخدم في الشعر ؟ و هل يستخدم في عصرنا هذا بقدر ما كان يستخدم في القرن الثاني أو الثالث ؟ و كيف تطور استخدام السجع من العصر الجاهلي حتى القرن العاشر؟ و لماذا هجره الكتاب في العصر الحديث ؟ هذه كلها مسائل لا تعرض لها البلاغة لأنّها تتناول التقديم و التأخير و السجع و غيرهما منفصلة عن الزمن و البيئة .[1]

و علم الأسلوب كسائر العلوم اللغوية الحديثة ، يدرس الظواهر اللغوية بطريقتين : طريقة أفقية ، تصّور علاقة هذه الظواهر بعضها ببعض في زمن واحد، و طريقة رأسيّة تمثل تطوّر كل ظاهرة من هذه الظواهر على مر العصور.

(8)-سيطرة التوجيهات النفعية على البلاغة العربية التي كانت غايتها تشريعية تعليمية ، بينما غاية الأسلوبية بحثية تشخيصية وصفية .

يقصد بالتوجيهات النفعية : التوجيهات البعيدة عن مراميها العلمية الأصلية التي كان على البلاغة العربية القديمة أن تخلص في التوجّه نحوها ، فلقد نشأت في غير أهلها ، فسلكوا بها غير طريقها ، ثم رمت بها الأحداث بين من ألبسوها غير زيّها ، فراح كلّ يروم بها خدمة غرضه لأغراضها ، و يسميها المنتفعون بها على حسب ما يودون لنفهمهم ، تجد من هؤلاء متكلمين و لغويين و كتاب دواوين و مفتونين بالمنطق و مبهورين بالجدل و مفسّرين ، تختلف مذاهبهم ،و تختلف تبعا لها تأويلاتهم البلاغة .

[1] الأسلوبية ، الرؤية و التطبيق ، أ.د : يوسف أبو العدوس ، ص : 75-77.

و يرى أحد الباحثين أن البلاغة قد استعملت في تكريس المتبنيّات التي كان يراها العرف السائد أو الرأي المسيطر ، و أن البلاغة العربية كانت في الغالب ، خادما للعرف وطريقةالتفكير السائدة في طبقة من طبقات المجتمع ،و لم يكن من الجائز الخروج على مقتضيات هذا التفكير .و هذا الرأي يمكن قبوله إذا كان يقصد به أن البلاغة كانت تضع المعايير الخاصة بالفصاحة و البلاغة اعتمادا على ما هو سائد في المجتمع من آراء عنها ، أما إذا كان المقصود غير هذا المعنى ،فإن تبعة المقصود تبقى على صاحبه ،لأنه لم يؤيّد كلامه بأدلّة واضحة و وافية .و لعل غاية ما يقود إليه هذا الرأي هو تنحية الأغراض النفعية غير العلمية من الميدان العلمي للبلاغة ، هذا إن سلّمنا بأن مثل هذه الأغراض ما زالت باقية إلى اليوم .

على أن اقتران نشأة البلاغة العربية بالعامل الديني ، الذي يتمثل في الحديث عن إعجاز القرآن، لمن الحقائق التي لا شك فيها ، كما أن الممارسات البلاغية من جانب أناس عرفوا بتوجهاتهم الأخرى ، تفسيرية كانت أو فقهية أو لغوية أو منطقية أو غيرها ، لما لا شك فيه أيضا ، فطبيعة البلاغة تغري الجميع بمزاولتها ،و قد يكون لهذا الإغراء مسيس صلة بأهداف نفعية أخرى يطمح إليها هؤلاء الممارسون .و أستطيع القول إن هذا مما أثرى البلاغة بمباحث توجهات شتى ،و لم تتمكن الأهداف النفعية من اقتياد البلاغة صوب وجهات تتنافى مع طبيعتها أو أهدافها الحقيقية .[1]

و من هنا قيل : إن النغمة السائدة في البلاغة القديمة ، نغمة إرشادية إلى حد كبير ، فهي ترشدك إلى طرق إحداث تأثير معيّن، و كيفتستخدم هذه الأساليب ؟ أو تلك الطرق ،أو

[1] المرجع السابق ،ص :77-78.

الوسائل لإحداث ذلك التأثير ،و ما التعبيرات الصحيحة الخاصة بها؟ و كيفية بناء الجملة و تركيبها ، و هذا المنهج الإرشادي هو الصورة التي تتعرّف عليها في كثير من نماذج متعدّدة في التراث العربي ، بدءا من صحيفة 'بشر بن المعتمر' المشهورة ،و مرورا بنماذج مختلفة للجاحظ، و أبي هلال العسكري و ابن طباطبا و غيرهم من النقاد و البلاغيين العرب القدامى.أما الأسلوبية فقد اختلفت منها الصبغة الإرشادية و الغاية التعليمية ، و لم تعد تقدم نصائح ،أو تفرض إرشادا ،أو تملي على الشعراء كيف يكتبون ؟ و لكنّها تفحص ما هو مكتوب و تدرسه و تصنّفه كما هو.و الأسلوبية لا تعتمد إلى إصدار قوانين للنطق ولا للكتابة ، و لكنّها تعمد إلى تفهّم المنطوق و المكتوب ، فغايتها البحث في الأعمال الأدبية باختلاف أنواعها و رصد مميزّاتها و وصفها و تعليلها .

(9)-تسعى الدراسات الأسلوبية المعاصرة على مقارنة الظواهر الأسلوبية التي تلحظها في اللغة التي تدرسها بما يمثلها أو يقابلها في اللغات الأخرى، لكن البلاغة التقليدية و منها البلاغة العربية القديمة، قد أغفلت هذا الجانب من بحوثها .تجتهد مباحث علم أسلوب اللغة في وضع الحدود المميّزة بين القواعد اللّغوية العامة و الخصائص الأسلوبية ذات الوظائف المحدّدة في الكلام المتّصلة بجوانب تأثيره، فهي تدرس مثلا أساليب التعجّب و الاستفهام لا من ناحية الصّحة و الخطأ مما يتكفل به البحث اللغوي ، بل من ناحية مزايا الصيغ المختلفة في لغة معيّنة ، مقارنة بغيرها من اللغات من جانب ،و بالوظائف المشابهة لها في نفس اللغة من جانب آخر ،في ذات طابع مقارن أصيل . [1] و يحتل منهج الأسلوبية المقارنة الخارجية مكانة متميّزة في دراسات بالي ، حيث يعقد في معظم مؤلفاته مقارنات بين اللغتين الفرنسية و الألمانية ،و هو يدعوا طرد القياس بحكم أن ما صح بين اللغتين المذكورتين يمكن أن يصّح بين لغات أخرى،

[1] المرجع السابق ،ص :78

وهو يعتقد أنّ هذه الطريقة تؤهّل الدارس لمعرفة هيكل اللّغة الأساسي و بنيتها العامة، و قد هدته المقارنات مثلا إلى أنّ اللّغة الألمانية أكثر احتفاء بالفعل و أضربه المختلفة.[1]

و تعبّر من ثم عن الحدث بجميع دقائقه ،و جزئياته ، بينما تنزع الفرنسية إلى نوع من الاسمية لذلك لا يحتّل فيها الفعل المكانة التي يحتلها في الألمانية ،كما لاحظ أنّ اللّغة الألمانية تعبّر عن التصوّر الذهني بكل مفاصلة ، في حين تميل الفرنسية إلى شيء من التأليف و التركيز على العنصر المهّم في الفكرة ،و ان كان ذلك على حساب بقية العناصر أحيانا ،و متى جمعنا هذه الملامح إلى بعضها نكون قد رسمنا الخصائص التعبيرية للغة من اللغات.و مع اقتناع بالي بجدوى هذه الطريقة ،فقد كان حذرا منها ، متشدّدا في استعمالها ،و ذلك لصعوبة التمييز الدقيق بين قضايا النحو و معطيات الأسلوب لتداخل الميدانية هنا تداخلا شديدا ، و لابد أن يكون الدرس على درجة عالية من الفطنة ،حتى يسلم من الخلط ، و حتى لا يحشر في أسلوب لغة ما هو من نحوها.و لم يكن هذا الاتجاه واردا بطبيعة الحال في دراسة البلاغة التقليدية التي تخلط بمنطق عصرها بين المباحث النحوية و الدلالية ،و بعض التحليلات الجزئية الأسلوبية ، التي لم تتصوّر أن تقيم أيّة مقارنة منظّمة بين وسائل اللغة العربية في التعبير ،و وسائل اللغات الأخرى.و على الرغم من أن مبدأ المقارنة بين اللغات كان حاضرا في أذهان بعض البلاغيين العرب، إلا أنّ هذه المقارنات لم تكن محكومة بنظرة كلّية منظّمة، و إنما كانت ملاحظات عابرة مبثوثة هنا و هناك، و كانت عادة ما تجيئ إلاّ لبيان تفرّد اللغة العربية و مزيّتها عما سواها من اللغات ،و هذا واضح من خلال تقسيم عبد القاهر الجرجاني الاستعارة إلى مفيدة و غير مفيدة .حيث أشار إلى أنّ غير المفيدة خاصة باللغة العربية ، أمّا المفيدة فتوجد في كل اللغات.و هذا يتّضح عند ابن الأثير الذي قال: " فان كل لغة من اللغات لا تخلو من وصفي

[1] المرجع السابق ، ص : 78-79.

الفصاحة و البلاغة، المختصين بالألفاظ و المعاني ، إلا أن اللغة العربية مزية على غيرها ، لما فيها من التوسعات التي لا توجد في لغة أخرى سواها ".[1]

***المبحث الثالث :أوجه التلاقي بين البلاغة و الأسلوبية.**

أما أوجه التلاقي بين البلاغة و الأسلوبية فتتمثّل فيما يلي :

(1)-كانت البلاغة فنا للتعبير الأدبي و قاعدة في الوقت نفسه،و هي –أيضا- أداة نقدية تستخدم في تقويم الأسلوب الفردي ،و هي فن أدبي، و هاتان سمتان قائمتان في الأسلوبية المعاصرة ، كما أن البلاغة هي أسلوبية القدماء ،و هي علم الأسلوب كما كان يمكن للعلم أن يدرك حينئذ.

(2)-إن مبادئ علم الأسلوب العربي قائمة على جذور لغوية و بلاغية ،و هنا يمكن أن يكشف عن وجوه التلاقي بين تصوّر اللغويين الغربيين للّغة ، و ما نتج عنه من فجوة أتاحت للدرس الأسلوبي الغربي و الدرس البلاغي العربي، الظهور على الساحة الأدبية.

و هنا يمكن الربط بين نظرة دي سوسير للّغة و تعريف عبد القاهر الجرجاني للبلاغة ، فينظر دي سوسير للغة على أساس أنها مكونة من رموز اصطلاحية ، أصوات ، ثم كلمات ليس لها دلالة ذاتية ،و إنما تتحدّد دلالة كل عنصر من عناصرها من خلال علاقته بالعناصر الأخرى، و هناك نوعان من العلاقات : علاقة رأسية تعتمد على تداعي المعاني بين الكلمة و قريباتها أو نظيراتها في الاشتقاق ،و بينهما و بين مضاداتها و مرادفاتها، كالعلاقة بين عالم و علم و معلّم ،و علاقات أفقية تكون بين أجزاء الجملة ، و يبدو أن فكرة العلاقات الأفقية تذكرنا بتعريف

[1] المرجع السابق،ص :79-80.

عبد القاهر الجرجاني للبلاغة ،و هي أنّها تأتي معاني النحو بحسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام ،و تعريف السكاكي القائل : بأنها معرفة خواص التركيب .

(3)-و يمكن أن نلمس مقارنة، بين مفهوم نشومسكي للبنية السطحية و البنية العميقة ، و الأخرى الإضافية التي تأتي بعد الأولى في القيمة ، فالبلاغة العربية قامت على تقسيمات ثلاثة: المعاني و البيان و البديع،فالمعاني و البيان من جهة يتعلقان بالإفادة أي المعنى، في حين أن البديع يتعلّق بإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.

و يذكرنا هذا بفرضية منهجية تنطلق منها النظريات الأسلوبية ،و قوامها أن المدلول الواحد يمكن بثّه بواسطة دوال مختلفة ،و هو ما يؤول إلى القول بتعدّد الأشكال التعبيرية على الرغم من وحدانية الصورة الذهنية.[1]

(4)- إنّ في تعريف البلاغة و الأسلوبية لقاء و مفارقة ،فالبلاغة في تعريف البلاغيين العرب " مطابقة الكلام لمقتضى الحال"،و هذا التعريف يلتقي مع وجهة نظر الدرس الأسلوبي فيما يسمى " الموقف"، بل إنّ عبارة " مقتضى الحال" لا تختلف كثيرا عن كلمة " الموقف"،و بخاصة إذا عرفنا أنه يقصد بكلمة "الموقف" مراعاة الطريقة المناسبة للتّعبير ،و أنه يدخل في الطريقة المناسبة اعتبارات دلالية كثيرة ،فوق الدلالة المباشرة أو الأصلية للعبارة، دلالات تتمثّل في طريقة النطق و اختيار الكلمات و التراكيب ،و دلالات يأنس إليها السامعون و يفتقدونها إذا سبق لهم القول مغسولا منها مقتصرا على أداء المعنى المجرد، أو محملا بدلالات أخرى مناقضة للموقف.

[1] الأسلوبية ، الرؤية و التطبيق ، أ .د: يوسف أبو العدوس ، ص 80-81.

(5)-لقد فصلت البلاغة العربية بشكل عام الشكل عن المضمون ،حيث ميّزت في نطاق الشكل بين فصاحة المفرد، و فصاحة الكلام، و فصاحة المتكلّم ، كما فرّقت بين فصاحة المتكلم و بلاغته، و هذا الفصل بين الشكل و المضمون يعود إلى التمييز بين اللفظ و هو صورة العمل الأدبي ،و المعنى و هو مفهومه و المراد منه، و هذه التفرقة بين الشكل و المضمون ترجع إلى تأثر البلاغة بالمنطق الأرسطي ، و محاولة الرّبط بين المصطلحات المنطقية و مثيلاتها اللغوية ،و يمكن القول أنّ لجهود عبد القاهر الجرجاني في كتابيه "أسرار البلاغة" و " دلائل الإعجاز" استثناء في هذا المجال، إذ أقام صلة بين الألفاظ و المعاني التي تتضافر جميعا و تشكّل في النهاية ماهية العمل الأدبي ،و لا تمييز لأي من العنصرين على الآخر، فإذا كانت الألفاظ هي التي تبرز المعاني، و تظهرها و تنقلها من ذهن قائلها و فكره إلى حيز الوجود، فان المعاني هي ما يستخلص من عملية انتظام المفردات في هيئتها المعلومة.

و لكي يؤكّد رأيه هذا في عدم الفصل بين الشكل و المضمون في البلاغة العربية يأتي بنظرية النظم، و تعني ترتيب الكلام ترتيبا معلوما، بحيث يكون كاشفا عن المعاني في الذهن ،و هذا الانتظام بين الألفاظ يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض ،حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضى كونه هناك ،و حتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح ، يقول الجرجاني:" و أنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ ،بل تجدها تترتّب لك بحكم أنّها خدم للمعاني، و تابعة لها ، و لاحقة بها ،و أنّ العلم بمواقع المعاني في النفس ،علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق".[1]

[1] المرجع السابق،ص : 81-82.

و يقول عن التجنيس :" فقد تبيّن لك أن ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن ،و لما وجد فيه إلا معيب مستهجن ،و لذلك تم الاستكثار منه و الولوع به، و ذلك أن المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه ، اذ الألفاظ خدم المعاني و المصرفة في حكمها ،و كانت المعاني هي المالكة سياستها ، المستحقّة طاعتها".و هكذا فإن نظرية النظم عند الجرجاني تستند على علمي النحو و المعاني، فاستبدال إسم بفعل أو فعل بإسم أو حرف بغيره في السياق يؤدي إلى تغيّر في المعنى ،و التقديم و التأخير و التعريف و التنكير و غير ذلك ممّا يبحثه علم المعاني أمور ينبغي على المنشئ مراعاتها في إنشائه، و قد حاول الجرجاني من خلال مفهوم نظرية النظم دراسة طبيعة الأدب دراسة داخلية تتّكئ بالدرجة الأساس على التركيب اللغوي الذي يتّصل باللفظ المنطوق و الكلام النفسي.

و ما قاله الجرجاني في نظرية النظم يطابق ما قاله علماء الأسلوبية في نظرتهم إلى النص باعتباره كيانا واحدا، بحيث أن كل جزء يوصل إلى آخر ،و لا سبيل إلى دراسة العمل الأدبي إلا على أساس من التمازج الكامل بين عناصره و لا فصل بين الدوال (الشكل)،و المدلولات (المضمون) ، يضاف إلى ذلك التنبيه إلى أهمية المخاطب في عملية الإبلاغ.و ممن نظر إلى النص الأدبي نظرة تكاملية في بعض الأحيان الجاحظ ،و البقلاني،و ابن الأثير، و حازم القرطاجني.[1]

و بناءا على ذلك يمكن القول : "إن البلاغة العربية تمتلك الأدوات الفنية اللازمة لتناول النص كاملا ، و لكّن المتعاملين مع البلاغة هم الذين لم يستخدموا هذه الأدوات في هذا الاتجاه، و

[1] - المرجع السابق ، ص : 82

لعلّ هذا يعود بدوره إلى طبيعة الدراسات البلاغية القديمة التي لم تكن تتناول النصوص الأدبية بغية إيضاح كل جوانبها الفنية و الجمالية دفعة واحدة ،و إنما كانت تتناولها —في الأغلب- لأجل الاستشهاد على بعض القضايا و الطروحات البلاغية المجرّدة،و هذا لا يستدعي في تحليل النصوص كاملة.[1]

(6)-و ثمة نقاط التقاء بين الأسلوبية و البلاغة تتمثل في انه إذا كان المنظرون لتحديد مفهوم الأسلوبية يرون أن المخاطب يوائم بين طريقة الصياغة و أقدار سامعية،فليس هذا إلا ترديدا لما قال به البلاغيون العرب في تعريف بلاغة الكلام بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال .فكلاهما يفترض حضور المتلقي في العملية إلابلاغية ، إلا أن الأسلوبية قد جعلت هذا "الحضور" شرطا ضروريا لاكتمال عملية إلانشاء ،بل إن المتلقي — من المنظور الأسلوبي —هو الذي يبعث الحياة في النص بتلقّيه و تذوّقه .

أما البلاغة فالمتلقي عندها لا يشكّل إلاّ جانبا واحدا من الجوانب المتعددة لمفهوم " مقتضى الحال" الذي يعني أن "مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التنكير يباين مقام التعريف ،و مقام الإطلاق يباين مقام التقييد،و مقام التقديم يباين مقام التأخير، و مقام الذكر يباين مقام الحذف،و مقام القصر يباين مقام خلافه، و مقام الفصل يباين مقام الوصل، و مقام الإيجار يباين مقام إلاطناب و المساواة ،و كذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي".و المتلقي و إن كان يمثل من المنظور البلاغي ركنا واحدا من أركان إلابلاغية ، إلا أنه ركن مهم قد يؤدي إهماله إلى إفساد عملية التبليغ و إلى فشل المتكلّم في التوصيل .

[1] المرجع السابق ، ص : 82-83.

يقول بشر بن المعتمر: "ينبغي أن تعرف أقدار المعاني ، فتوازن بينهما و بين أوزان المستمعين ،و بين أقدار الحالات ، فتجعل لكل طبقة كلاما ، و لكل حال مقاما، حتى تقسم أقدام المعاني على أقدار المقامات، و أقدار المستمعين على أقدار الحالات.

و قد لحظ القرطاجني ذلك، كما لاحظ مدى عناية العرب بعملية التحسين التي لا تتوفّر لغيرهم من الأمم ،و من ذلك تماثل المقاطع في الأسجاع و القوافي ، لأن في ذلك من مناسبةزائدة على عملية البيان الأصلية ، و من ذلك نياطتهم حرف الترنم بنهايات الصنف الكثير المواقع في الكلام منها ، لأن في ذلكتحسينا للكلم بجريان الصوت في نهاياتها لأن النفس في النقلة من بعض الكلمة المتنوعة المجاري إلى بعض على قانون محدود راحة شديدة ،و استجدادا لنشاط السمع بالنقلة من حال إلى حال ، فكأن تأثير المجاري المتنوّعة ،و ما يتبعها من الحروف المصوتة من أعظم الأعوان على تحسين مواقع المسموعات من النفوس و خصوصا في القوافي.[1]

و واضح أن البلاغيين قد حاولوا الإفادة من وظيفة التحسين في اللغة ،من حيث هي إمكانات لغوية، لها تصوّر شكلي محدّد في إبراز الناحية الجمالية ، التي تتجاوز مجرد الإفهام و الإفادة مع مراعاة المقتضى في علم المعاني ، أو الإفهام و الإفادة بطرق مختلفة كما في علم البيان ،فالمحسنات مثلث- عندهم- حيلا أسلوبية ، يستعين بها الأديب بعد تحويلها من طبيعتها اللغوية العامة إلى خواص فردية، ترتبط بطريقة متميزة في الأداء ،أو تطغى على هذا الأداء فتجرّه وراءها و تعطّل إفادته.

[1] -الأسلوبية، الرؤية و التطبيق ،أ.د ، يوسف أبو العدوس ، ص :83-84.

(7)-و يظهر التقاطع بين البلاغة و الأسلوبية من خلال علم المعاني ، فعلم المعاني يهتم بدراسة الأسلوب و المعنى،فقد اهتم البلاغيون العرب ببعض اللمحات الأسلوبية كالصياغة و جزئياتها بحيث يكون لكل كلمة مع صاحبتها مقام، و لكل حد ينتهي إليه الكلام مقام.

و بهذا يرتبط المعنى بجزئيات التركيب و مواطن استعمالها ، كما يرتبط بما بين هذه الجزئيات من علاقات خلقها هذا المقام ،و على هذا الأساس يرتفع الكلام في باب الحسن و القبول أو ينحط في ذلك ، لوروده على الاعتبارات غير المناسبة .

و قد التفتت البلاغة القديمة كما هو الحال في الأسلوبية إلى المستوى الإخباري و المستوى الجمالي في الأدب ،حيث يتّصل المستوى الأول بالنحو و اللغة ،و يتّصل المستوى الثاني بعلم المعاني ،فقد ألمح عبد القاهر الجرجاني إلى وجود المستوى الإخباري الذي يستعين بأدوات اللغة لاستخراج الجانب الفكري من المتكلم ،و إلى جانبه المستوى الإبداعي الذي يستعين بالأدوات نفسها لاستخراج الجانب الجمالي المتمثل في الفكرة اللطيفة .[1]

يقول الجرجاني في وصف علم البيان :" إنك لن ترى نوعا من العلم قد لقي من الضيم ما لقيه ،و مني من الحيف بما مني به ،و دخل على الناس الغلط في معناه ما دخل عليهم فيه ، فقد سبقت إلى نفوسهم اعتقادات فاسدة، وظنون ردية، و ركبهم فيه جهل عظيم و خطأ فاحش، ترى كثير منهم لا يرى له معنى أكثر مما يرى للإشارة بالرأس و العين و ما يحدّد الخط و العقد، يقول إنما هو خبر و استخبار و أمر و نهي ، و لكل من ذلك لفظ قد وضع له، وجعل دليلا عليه ، فكل من عرف أوضاع لغة من اللغات: عربية كانت أو فارسية — و عرفت المغزى من كل لفظة ،ثم ساعده اللسان على النطق بها ، و على تأدية أجراسها و حروفها ، فهو بيّن في

[1] -الأسلوبية، الرؤية و التطبيق ،أ.د ، يوسف أبو العدوس ، ص :84.

تلك اللغة كامل الأداة ،بالغ من البيان المبلغ الذي لا مزيد عليه، منته إلى الغاية التي لا مذهب بعدها .[1]لا يلحن فيرفع في موضع النصب، أو يخطئ فيجيئ باللفظة على غير ما هي عليه من الوضع اللغوي ، و على خلاف ما ثبتت به الرواية عن العرب.

و جملة الأمر أنه لا يرى النقص يدخل على صاحبه في ذلك إلا من جهة نقصه في علم اللغة، لا يعلم أن ها هنا دقائق و أسرارا طريق العلم بها الرواية و الفكر، و لطائف مستقاها العقل، و خصائص معان ينفرد بها قوم قد هدوا إليها، و دلّوا عليها ،و كشف لهم عنها، و رفعت الحجب بينهم و بينها".

و هذا الكلام يتضح من خلال حديث السكاكي عن الوظيفة البيانية و الوظيفية اللغوية ، فهو يتناول الكلام عن فاعل (نعم و بئس) الذي يكون مظهرا معرّفا بلام الجنس، و يروي عن الحاتمي جواز هذه اللام للعهد، و يرى أن تحقيق القول فيه (وظيفة بيانية) يذكرها في علم المعاني.و عندما يتناول الحديث عن (لا) النافية و تحويلها إلى (لا ت) بعد دخول التاء عليها، يوضح أنه ذكرها استطرادا ،لأنها (وظيفة لغوية).

إن علم المعاني و الأسلوبية يهدفان إلى تصوير المعنى تصويرا جماليا موحيا ،و هذا يبدو في علم المعاني واضحا من خلال مطابقة الكلام لمقتضى الحال ،التي تتحقّق من خلال النظر إلى أجزاء الجملة أو الجملة بأسرها ، و الجمل مجتمعه ، و اختيار الحالة التي تتناسب مع ما نحن بصدده من معنى نريد تصويره و التعبير عنه. و بشكل عام فان البلاغة تلتقي مع الأسلوبية في بحث طبيعة المفردات اللغوية وجوّها، و مقدار ملاءمتها للأغراض التي سيقت من أجلها .

[1] المرجع السابق ، ص:84-85.

(8)-يلتقي علم البيان مع الأسلوبية في تأدية الفكرة الواحدة بصياغات لغوية مختلفة ،لكل صياغة تأثيرها الخاص.فالمبدع في مجال (البيان) تواتيه المقدرة الفنية على إيراد المعنى الواحد في صياغات متعددة ،أو طرق مختلفة ،و هي طرق تتميز بالتغاير في الوضوح و الخفاء، و التمام و النقصان كما تتمّيز –أيضا- بارتباطها بفكرة الإرادة ،أو الإفادة المتمثلة في الصياغة من خلال تداخل العلاقات بين الدال و المدلول ،و يعرض لهذه العلاقة من زيادة أو نقصان .[1]

و هو أمر لا يمكن أن يتأتي وجوده في الدلالات الوضعية التي لا تحتمل تحرك الدلالة أو اهتزازها، و إنما يتأتي ذلك في الدلالة العقلية، و إن استمدت الثانية وجودها من الأولى ،لأن الاستعمال هو الذي يدفع الألفاظ في سياق معين من دلالتها الوضعية إلى مجال الدلالةالعقلية، بحيث تعطي هذه الألفاظ معاني جديدة لم يتم التواضع عليها ، و بهذا يكون لها دلالتان : الأولى هي الوضعية ،و الثانية هي العقلية .بهذا الفهم يصبح للصورة الذهنية أكثر من دال ، ومن هنا – أيضا- يمكن أن يتبيّن التقاء فكرة الدلالة في علم اللغة مع دلالة في مباحث البيان، لأن أي فكرة يمكن إبلاغها بطرق مختلفة ،و في صياغات متعدّدة ، كما أن اللفظ يمكن أن يكون له أكثر من دال واحد، و لذا يؤكد السكاكي أن الخوض في (علم البيان) يستدعي تمهيد قاعدة ، و هي أنّ محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه أو النقصان –بالدلالات الوضعية غير ممكن ، فانّك إذا أردت تشبيه الخد بالورد في الحمرة –مثلا- و قلت :' خد يشبه الورد' امتنع أن يكون كلام مؤّد لهذا المعنى بالدلالات الوضعية أكمل منه في الوضوح أو أنقص،و إنما يمكن ذلك في الدلالات العقلية ،مثل أن يكون لشيء تعلّق بآخر و ثان و ثالث ، فإذا أريد التوصّل بواحد منها إلى المتعلّق به، فمتى تفاوتت الثلاثة في وضوح التعلّق و خفائة صحّ في طريق إفادته إلى الوضوح و الخفاء.

[1] المرجع السابق ،ص : 85-86.

و يمكن أن ندرك من خلال تحليل السكاكي للدلالة وصلتها بالصياغة أن الأساليب عنده تتفاوت وفق قدرة منشئها على نقل اللفظة من مجال (الوضع) إلى مجال آخر ، يعتمد على العقل الذي يمكنه إدراك تنوع المناسبة وفق تنوّع الموقف ،ثم وفق وفاء الكلام بتمام المراد منه، ثم وفق التداعي ، أي ارتباط كل لفظة بما قبلها و ما بعدها ، و لكنّه عجز ن مواصلة السير في هذا الطريق ، لكي يصل إلى ما وصلت إليه الأسلوبية الحديثة من تناول كلّي للنص الأدبي .[1]

(9)-هناك علاقة وثيقة بين الأسلوبية و البلاغة تتمثل في أن محور البحث في كليهما هو الأدب، يمكن القول إن الأشكال البلاغية المختلفة هي الجذور التي نمت عليها المناهج الأسلوبية المختلفة، فلا يمكن الفصل بين البلاغة و الأسلوبية بأي شكل من الأشكال ، فعندما يتم النظر إلى المباحث البلاغية المختلفة كالاستعارة أو الكناية أو التشبيه ...على أنها نظام كامل من الوسائل اللغوية الفاعلة في إنتاج النص ، يكون لها دور و أهمّية خاصة عند المبدع و المتلقي على حد سواء.

فالمبدع الذي ينتج النص يضع هذه الأشكال البلاغية لتؤدي دورا خاصا في هذا النص، بإيحاءاتها ، و تأثيراتها الجمالية المختلفة، و من ثم يقوم المستقبل بتحليل هذا النص ليبيّن اختيارات المبدع ، و الانزياحات المختلفة لهذه الاختيارات ، ليستكشف جمالياتها ، و عند هذه النقطة تلتقي البلاغة و الأسلوبية ،فالبلاغة و الأسلوبية تقدمان صورا مختلفة من المفردات و التراكيب و الأساليب و قيمة كل منها الجمالية و التأثيرية و يمكن دراسة كثير من الأساليب البلاغية القديمة تحت مبدأ مهّم من مبادئ الأسلوبية و هو الانزياح و الاختيار، فهذه الأساليب البلاغية هي نوع من الاختيار القائم على الانزياح اللغوي، بيد أن الأسلوبية لا تعني

[1] المرجع السابق ،ص : 86-87.

القطيعة الكاملة مع التراث البلاغي، فأسلوبية التعبير عند شارل بال مثلا تنبع من البلاغة القديمة ، إن كانت تستخدم وسائل تحليلية حديثة ، كما أن كثيرا من البحوث التي قدمتها البلاغة للصور و الأشكال التعبيرية ما زالت مصدرا جديرا بأن يؤخذ في الاعتبار في قسط و افر منه ،حيث نجد مجموعة من الملاحظات و التعريفات التي لا يستطيع الباحث الأسلوبي أن يهملها ،و احتفظ جاكبسون من تراث البلاغة القديم بهذا الجزء المتّصل بالصوّر و الأشكال المتمثلة في الاستعارة و المجاز و الكناية ليفسّرها على ضوء مبادئ علم اللغة الحديث، و يوضّح كيفية توظيفها الفني في الأدب ، الأمر الذي يجعل كثيرا منالباحثين الأسلوبين يعتقدون أن المادة التصنيفية الهائلة التي تركها الأقدمون في البلاغة ما زالت صالحة في جزء كبير منها .[1]

*المبحث الرابع : التحليل الأسلوبي و التحليل اللغوي .

[1] الأسلوبية، الرؤية و التطبيق ،أ.د ، يوسف أبو العدوس ، ص :87-88.

يجد الدارس للأسلوبية أن الأسلوبيين أو المنظرين الأسلوبية يتحدثون في مستويات التحليل الأسلوبي، و إذا أمعنت النظر في هذه المستويات فان المفاجأة عظمية ،إذ أنّ هذه المستويات هي ذات مستويات التحليل اللغوي،و هي تحليل الأصوات و تحليل التراكيب و تحليل الألفاظ ،و هذه المستويات ذاتها هي التي يتحدث فيها الأسلوبي عندما يحلّل ، فما الفرق بين العلمين و كيف يتم التمييز بينهما ؟

و أغلب الباحثين لا يفرقون بينهما ، و الذي يحاول التفريق يصل إلى الإغماض و التعمية ،و الراجح أن التفريق بينهما لا يمكن بحال أن يتم لباحث مهما علت مرتبته، إلا أن ينظر إلى الغاية أو الهدف من كلا العملين ، فالذي نظر إلى النص الذي يعمل فيه على أنه نص لغوي، المراد منه معرفة أساليب الكاتب الخروج بقواعد لغوية علمية قابلة للتعميم فهو باحث لغوي، و الذي نظر إلى النص على أنه نص لغوي المراد منه معرفة أساليب الكاتب و تمايزه عن غيره من الكتاب ،و تحديد طريقته الخاصة في المنهج ،و المعالجة من خلال التحليل الصوتي أو الصرفي أو النحوي أو الدلالي ، فهو محلل أسلوبي ،و هنا نسمي الأول عالما لغويا (باحثا، محلّلا)، أو نسميه اختصارا لغويا ،و نسمي الآخر عالما أسلوبيا (باحثا، محللا)أو اختصارا نسميه أسلوبيا.[1]

و لابد من الإشارة إلى قضية مهمة و هي أن الأسلوبية تتشابك مع العلوم اللغوية ، فالدارس للأسلوبية يرتبط بالعلوم اللغوية المحايثة ، تلك العلوم التي نشأت نتيجة تقدم اللسانيات نحو دكّ أسوار العلوم الإنسانية و الطبيعية ، و جعلها حقولا معرفية لعلم اللغة الذي يسعى في النهاية لتقديم فهم أفضل للغة الإنسانية .[2]

[1] الأسلوبية، الرؤية و التطبيق ،أ.د ، يوسف أبو العدوس ، ص :88

[2] الأسلوبية، الرؤية و التطبيق ،أ.د ، يوسف أبو العدوس ، ص :49-50.

و تأكيد على ذلك يمكن مناقشة الموضوعات الآتية :

- ❖ الأسلوبية و علم اللغة الرياضي .
- ❖ الأسلوبية و علم اللغة النفسي .
- ❖ الأسلوبية و علم اللغة الجغرافي .
- ❖ الأسلوبية و علم الأصوات النظمي .

يضاف إلى ذلك الإشارة إلى استخدام بعض الباحثين المناهج اللغوية في التحليل الأسلوبي و منها :

- ❖ المنهج السياقي .
- ❖ اختبار الاستبعاد.
- ❖ استرجاع الإمكانات المتاحة في نظام اللغة.
- ❖ المنهج الإحصائي ..الخ .

-مستويات التحليل الأسلوبي :

يمكن القول إن الأسلوبية قد أقامت تحليلاتها على المستويات الآتية :

أ-المستوى الصوتي :يرتكز التحليل الصوتي للأسلوب على :

1-الوقف.

2-الوزن .

3-النبر و المقطع.

4-التنغيم و القافية .

ففي هذا المستوى يمكن دراسة الإيقاع و العناصر التي تعمل على تشكيله، و الأثر الجمالي الذي يحدثه ،كذلك يمكن دراسة تكرار الأصوات ،و الدلالات الموحية التي تنتج عنه.[1]

ب-المستوى التركيبي :

و في المستوى يمكن دراسة الجملة و الفقرة و النص ،و ما يتبع ذلك مثل الاهتمام بـ:

1-طول الجملة و قصرها	2-المبتدأ و الخبر
3-الفعل و الفاعل	4-العلاقة بين الصفة و الموصوف
5-الإضافة	6-الصلة
7-التقديم و التأخير	8-العدد
9-التعريف و التنكير	10-التذكير و التأنيث
11-الروابط	12-الصيغ الفعلية
13-الزمن	14-البناء للمعلوم و البناء للمجهول
15-البنية العميقة و البنية السطحية	

ج-المستوى الدلالي :

و في هذا المستوى يمكن دراسة :

-الكلمات المفاتيح.

-الكلمة و السياق الذي تقع فيه و علاقاتها الاستبدالية و المتجاورة .

[1] المرجع السابق ،ص : 50-51.

-الاختبار .

-المصاحبات اللغوية .

-الصيغ الاشتقاقية .

-المورفيمات كعلامات التأنيث و الجمع و التعريف.[1]

د-المستوى البلاغي :

يتضمن هذا المستوى دراسة :

1-الإنشاء الطلبي و غير الطلبي ،كدراسة أساليب الاستفهام،و الأمر ،و النداء ،و القيم ،و الدعاء ،و التعجب ،و النهي ،و المعاني البلاغية التي يخرج إليها كل نوع .

2-الاستعارة و فاعليتها .

3-المجاز العقلي و المرسل .

4-البديع و دوره الموسيقي .[2]

***التمفصل اللغوي تهيّجان:**

[1] المرجع السابق ،ص : 51-52.

[2] المرجع نفسه ، ص : 52.

و اللغويون يعتبرون (التّمفصل اللغوي) أبرز خصائص اللغة ، و الذي بواسطته ينحّل الكلام إلى وحدات كبرى، و صغرى،و هي الجمل و الكلمات ،و الحروف ، تكشفها التغيرات التي تطرأ على عناصر الكلام و بنيته .

و التمفصل اللغوي نوعان: تمفصل صوتي ، يتم عن الكلمات و حروفها ،و تمفصل دلالي ، يتم من الجمل ،و أجزائها ، و عادة يطلق (التهجّي) الذي تتهجي به الحروف ،و الكلمات ،و الجمل على التمفصل بنوعيه ، فيقال فهيما: التهجي الصوتي ،و التهجي الدلالي. فعندما أقول : هذا قلمي ، هذا قلمك ، هذا قلم أخي ، هذا قلم أخيك ، هذا قلم أخيها ...ألاحظ أن الكلام في كل مرة ، يحتفظ بوحدات لم يدخل عليها أي تغيير ، في حين هناك وحدات دخلت عليها تغييرات مختلفة .[1]

إنّ كلمة (هذا) في الجمل الخمس لم تتغيّر ، في حين طرأ التغيير على كلمتي (قلم) ،و (أخ) في قلمي ، قلمك ، قلم أخي ، أخيك ، أخيها ، إذا دخلتهما الياء،و الكاف، و الهاء و الألف ،و التي لتثبت الإضافة .

و يقول العالم اللغوي (جون ليونس) أن من اللغويين من يعتبر التمفصل اللغوي (بنية مزدوجة)، هي تحيل إلى تلازم المستويين اللذين للغة ،أي : مستوى الأصوات ، و مستوى المعاني ،و بالتالي تلازم سطحين لغويّين متميّزين، هما : سطح التعبير ،و سطح المضمون .و لكن الدقة العلمية تقتضيها التفرقة بين المستوى ،و السطح في أمور اللغة ، مقوّماته ، و عناصرها . و ذلك أنّ دراسة الأصوات تخصّ علم الصوت ، (الفونتيك)، و علم وظائفه،أي (الفونولوجيا) ، أي الأصوات ليس في حد ذاتها معنى ، رغم أن لها شكلا بدائيا ، و السطحان اللغويان

[1] اللغة و الأسلوب ، مراجعة و تقديم : حسن حميد ، ص : 81.

الأوليان أي (سطح التعبير)،و (سطح المضمون) لهما وحدها الأثر الفاصل في بناء الكلمات ، و الجمل ،و بالتالي تعبير الإنسان عن مقاصده ،و أفكاره .

و في الاتجاه نفسه، يؤكد العالم الأسلوبي (غيرو) على ضرورة التمييز بين المتمفصلين :الصوتي و الدلالي ،و بين المستويين اللذين لعناصر الكلام، و معانيه ، في الجمل ،و الكلمات ، و الحروف. إن (التمفصل) ، في نظره ، متميّز عن مستوياته ، و يقوم بنفس عملية الإبلاغ اللغوي .لأن الجمل ، و الكلمات ،و الحروف عبارة عن إشارات حاملة للمعنى ،و الدلالة فيها شيء اصطلاحي ، حتى في أحوال التصريف ، و الإعراب .

(التمفصل) بعبارة أخرى ، شيء للقدرة على الكلام ، و بالتالي القدرة على تأليف الجمل ، في حين أن مستويات الأصوات ، و المعاني ،و خاصة التي لوظائف الصوت ، شيء طبيعي ، و فيزيائي في الأساس، و متميّز عن القدرة على الكلام ،و عملها .[1]

***الصور البلاغية ، أو صور الأسلوب :**

الصور البلاغية :و يقال لها أيضا صور الأسلوب و تراكيب القول ، أو طرائق في الكلام و الكتابة أكثر حيوية من الكلام العادي ، و غايتها إبراز الفكرة بشكل حسي ، و حي ،أنها بما فيها من دقة ، و أصالة،و جمال تساعد على لفت انتباه القارئ، أو السامع إلى مضمون الخطاب الأدبي أكثر ، فهي تجعل الأفكال أكثر رونقا و العبارة أكثر تأثيرا ،هذه الصور البلاغية عديدة ،و متنوعة على شتى مستويات الظاهرة الأسلوبية ، كظاهرة لغوية ، أدبية ،أي مستويات النطق ،و البناء ،و التركيب ،و المجاز، و التعبير الأدبي عامة .

[1] المرجع السابق ،ص : 82.

-صورة النطق و البناء :

تطلق صور الاستعمال النطقي على حالات من تصريف الكلمة ،مثل القلب المكاني ، و الترخيم ، و الإدغام،و الإضافة و غيرها ،و تتعلّق بالكلمات كتابتها ، أو نطقها ،كما تطلق (صور البناء) على التقديم ،و التأخير ،و الحذف ،و الحشو ،و النسبة ،و الفصل ، و الوصل ، و التقابل ،و التكرار ،أي تركيب الجملة ، و نظام المفردات فيها.

إن(النحو) يدرس في هذه الصورة صحة التركيب ،و دقة الدلالة في حين أن (البلاغة) تدرس الطاقة التعبيرية الخاصة بكل منها ، و بالتالي المردود الجمالي ، و الفني و الأدبي ، الذي لكل منها .

-صور الألفاظ و صور الفكر:

و هناك أيضا صور الألفاظ ،و صور الفكر، و هي قسمة ترجع إلى اليونان ، توارثها الغربيون ، و أجروا عليها تفريعات ، اليونان ،و اللاتين ،و من بعدهم الغربيون يميّزون (صور الألفاظ) عن (صور الفكر)،الأولى تتلاشي حين نبدّل ألفاظهما بألفاظ أخرى نحو أسد، اذ باستطاعتنا تبديل لفظ أسد بشجاع ،و يظل المعنى كما هو.[1]

و الثانية : تمكث رغم التبديل في ألفاظها ، مثل صور التعجّب و التمنّي ، و غيرها و التي تنسب إلى (القوى النفسية) من وجدان ،و ذكاء ،و خيال ، هي تعبر عنها ، و هم يقسمون (صور الألفاظ) إلى :

أ- صور بناء :أي تركيب للجملة .

[1] المرجع السابق ، ص : 96-97.

ب–صور مجازات : و هي في الأساس الاستعارات ، و المجازات المرسلة .

كما أنهم يقسمون (صور الفكر) إلى :

أ–صور خيال :

–(**التشبيه**): أصل الكلمة لا تيني ،و يعني لغويا : إقامة رابطة مع ، و في الاصطلاح البلاغي : هز إقامة علاقة شبيهة بين شيئين ، أو فكرتين ، نحو :طفل جميل كالورد ، بطيئ كالسلحفاة.

–(**اللوحة**):أصلها يوناني ، و يعني لغويا : رسم منظر ،و في الاصطلاح، البلاغي هي : تقديم وقائع ماضية ، أو مستقبلة ، كأنها حاضرة ، حاليا ، نحو : سرد أحداث هامة لمعركة حصلت منذ سنتين .

–(الاستحياء): الأصل يوناني ،و يعني لغويا :وضع قناع ، أو وجه مستعار ،و في الاصطلاح البلاغي : استحياء الموتى ،أو الجماد ، و إعطاؤهم الحديث ليتحدثوا مع توجيه الكلام لهم أو المناداة عليهم ، نحو: و أنتم يا أرواح الشهداء باركوا الزحف .

ب– صور العاطفة :

–(**الالتفات**): أصل الكلمة يوناني ،و يعني لغويا : غيّر وجهته نحو، و في الاصطلاح البلاغي : الالتفات إلى الآخرين لمحادثتهم ، سواء هم حاضرون أو غائبون نحو: عمت الرشوة البلاد.[1]

[1] المرجع السابق ،ص : 97-99-100.

-(**الاستفهام**):أصلها لاتيني ، و تعني لغويا : استفسر ،و في الاصطلاح البلاغي هي : نوع من الالتفات يتضمن سؤالا للأشخاص ،و الأشياء عن موضوع ، نحو : ما خطبكم؟

-(**التعجب**) : أصلها لاتيني ، و يعني صرخة الفرح ، أو مفاجأة ،و له أنواع من الاستعمال و الصيغ عند الغربيين ، نحو : يا عجبي .

-(**تعليق الكلام**): أصلها لاتيني ،و لغة : تعني ربط طرف شيء عاليا بحيث يتدلّى ، و في البلاغة : هو إيقاف الفكرة عن سيرها في الجملة ، من أجل إبراز أهمية المضامين ، نحو : نتحدث عن سيرتهم ،أنهم تحت الثرى .

-(**القطع**) : أصلها لاتيني ، و يعني لغويا : المنع ،و في الاصطلاح البلاغي : هو قطع مفاجئ للكلام بسبب فكرة مزعجة لا نريد الإفصاح عنها ، أو قول نسكت عنه دون إتمامه ، نحو : إني ...الأفضل لي و لكم أن أسكت .

-(**التمني**) : أصلها لاتيني في طلب حصول شيء ، و إذا كان المطلوب شرا سميت لعنا ، أو تمني الشر مثل استدعاء غضب السماء .[1]

-(**الترجّي**) :الأصل لاتيني ، و يعني الطلب الملهوف، و يكون دعاء، و صلاة ،و يخاطب به الآلهة، أو الملوك ،أو ذي الحل و العقد ،نحو: يا إلهي الغفران .

-(**السخرية**) : أصلها يوناني، و يعني لغويا : الهزء، و في الاصطلاح البلاغي هي : قول كلام يقصد عكس مدلوله، على سبيل التعريض ،أو الانتقاد ، نحو : إنه شجاع ، لقد هرب،و عندما تكون لاذعة تسمى تهكما .

[1] المرجع السابق ،ص : 100

-(**المبالغة**) : أصلها يوناني ، و يعني لغويا : أتجاوز ، و في البلاغة : هي التهويل في أمر ،أو في قيمة ،و وصفها بما يفوق واقعها نحو: القائد نبي السلام .[1]

ج-صور المحاكمة :

-(**الاستباق**) :أصل الكلمة يوناني ،و يعني لغويا استبق ،و في البلاغة ،هو افتراض ، اعتراض، مع الرد عليه ، نحو : يقولون الشعراء خياليون ،نعم ،و لكنّهم مبدعون .

-(**التسليم**) : أصلها لاتيني ، و يعني الأفضلية ، و في البلاغة :و التسليم للخصم بما يمكن أن نرفضه له ، نحو : المعارك شاقة ،و لكن أين الصبر و الشجاعة .

-(**المضاربة**) : أصلها لاتيني ، و يعني المنع أو العدول ،و في الاصطلاح البلاغي : هي تعداد وقائع تقول مع ذلك أنها ممنوعة ،و محظور ذكرها، نحو: لا أريد أن أذكر لكم هذه الآلام : التشرد، و البطالة ،و غلاء المعيشة ،و ظروف الحرب كلها أقلقت بال القريب و البعيد.

-(**الحشو**) : و أصلها يوناني ، و تعني لغويا الزيادة، و في البلاغة ذكر كلمات غايتها التأكيد على الفكرة ، نحو : أنني ، أنا نفسي ، الذي رأيت فضائحهم .

-(**التكرار**) : أصلها لاتيني ، و تعني إعادة ،و في الاصطلاح البلاغي : هو نوع من الحشو نكرر فيه ألفاظا بعينها للتأكيد عليها، و إظهار أهمية مدلولاتها ، نحو: تكلم، لقد راقنيكلامك ، راقتني لهجتك.

[1] اللغة و الأسلوب ، مراجعة و تقديم : حسن حميد ، ص :100-1001.

-(**التدرج**): أصلها لاتيني ، و يعني لغويا فارق الرتبة ،و في البلاغة : هو التدرّج في عرض الوقائع و الأفكار ، في اتجاه تصاعدي ،و أحيانا تقهقري ، نحو: و ماعتم أن لفظ القتيل أنفاسه .

-(**التذكير**) : أصلها لاتيني ، و يعني لغويا ، تحرّك و لعب مع ، و في البلاغة :هو ذكر كلمات تذكر بشخص ،أو بشيء ،أو بوقائع عنها ، نحو: أعمال بربرية ، كتدمير التتار للبلاد.

-(**المقابلة** : الأصل يوناني ، و يعني لغويا : تقابل ،و في البلاغة ، عرض فكرتين أحدهما نقيض الآخر، من أجل إبراز وجه الصواب فيهما ، و بعضها يأتي مطولا ، نحو: ظننته من معدن ممتاز ،و شريفا ، إذا به متلاعب، دنيء ، لا يؤتمن على شيء .[1]

[1] المرجع السابق ،ص : 101-102.

خاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات و تدرك الغايات و تقضى الحاجات و صلي الله على نبينا محمد في الأولين و الآخرين و بعد :

فإني بعد هذا الجهد المتواضع الذي قمت به في دراستي لموضوع البلاغة و الأسلوبية خلصت إلى مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي :

1.تعتبر العلاقة التي تربط البلاغة بالأسلوبية علاقة حميمة ، يتمّم بعضها البعض ، و تتجسّد هذه العلاقة بوضوح في ان محور البحث في كليهما واحد و هو الادب (النص الأدبي) ، أي أنّ موضوع البلاغة يتّفق مع موضوع الأسلوبية ، فكل منهما يهتم بتحليل النص الأدبي و استجلاء جماليته .

2.تعد البلاغة أسلوب القدماء ، كما أنّ مبادئ علم الأسلوب العربي قائمة على جذور لغوية و بلاغية

3.تهتم البلاغة و الأسلوبية ببحث طبيعة المفردات اللغوية و جوّها ، كما يجتمع علم البيان مع الأسلوبية في تأدية الفكرة الواحدة في صياغات متعدّدة أو في طرق مختلفة .

4.إنّ تطوّر البحث الأسلوبي أو الأسلوبية لا يتعارض مع علم البلاغة أو النقد الأدبي ، بل يمكن أن يفيد في تطويرهما .

5.لهذا فإن قصور البلاغة و عدم تجاوزها بعض الإشكالات المعرفية أتاح للأسلوبية ان تكون في مقام بلاغة حديثة ، و هذا ما أكده العديد من الدارسين كبير جيرو و غيرهم .

6. و مما توصلنا إليه أيضا أن في تعريف البلاغة و الأسلوبية لقاء و مفارقة ، و أن حدود كل منهما لم تبق مرتبطة بأطر معيّنة ، بل اتّسعت مجالاتها و أدواتهما ، و هذا راجع إلى عدّة عوامل مؤّثرة.

7.الأسلوبية كعلم ألسني حديث لا يمكنها أن تكون البديل الشرعي لعلم البلاغة ، فالبلاغة لا سبيل إلى الإستغناء عنها ، و الأسلوبية لا تستطيع أن تقوم مقام البلاغة ، رغم أنّها يمكنها أن تنزل إلى خصوصيات التعبير الأدبي .

و أخيرا ....و إني في ختام هذا البحث الذي لم يقل كلمته الأخيرة في هذا المجال ، رغم أنّه كان محاولة لتقديم الإضافات إلى ما سبق و ما سيلحق من خطوات ، و نسأل الله عز و جل أن يلهمنا السداد و التوفيق و أن تُنعت أخطاؤنا بالقصور لا بالتقصير . و على الله قصد السبيل .

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

- الإحاطة في علوم البلاغة لـ : شريفي عبد اللطيف ، زبير دراقي ، الطبعة 1 ، ديوان المطبوعات الجامعية – الساحة المركزية – بن عكنون – الجزائر ، 01-2004
- الأسلوبيات و تحليل الخطاب ، لـ : رابح بوحوش ، منشورات جامعة باجي مختار ، عنابة (د ت)
- الأسلوبية ، فتح الله أحمد سليمان ، (دون ط) ، مكتبة الآداب القاهرة 1997 ، مصر .
- الأسلوبية و الأسلوب ، عبد السلام المسدي ، ط2 ، الدار العربية للكتاب 1982 ، تونس
- الأسلوبية و تحليل الخطاب، نور الدين السد ، ج1، دار هومة 1997 ، الجزائر .
- الأسلوبية ، الرؤية و التطبيق ، يوسف أبو العدوس ،دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، الطبعة الأولى ، 2007م .
- الأسلوبية و نظرية النص – دراسات و بحوث /نقد ، د. ابراهيم خليل / الطبعة العربية الأولى ، 1997 ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت .
- البحث الأسلوبي (معاصرة و تراث) منشأة المعارف 1993 ، مصر .
- البلاغة و الأسلوبية ،هنريش بليث نموذج سيمائي لتحليل النص ، ترجمة و تعليق : د. محمد العمري ، أفريقيا الشرق 1999 – بيروت –لبنان .
- البلاغة العربية ، الدكتور عاطف فضل محمد ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، الطبعة الأولى : 2011 م .
- البلاغة العربية ، تأصيل و تجديد ،د: مصطفى الصاوي الجويني ، جامعة عين شمس 1995 ، منشأة الناشر المعارف بالإسكندرية .

- البلاغة العربية ، المفهوم و التطبيق ، أ.د. حميد آدم ثويني ،دار المناهج للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن . (د ت)
- البلاغة العربية ، وسائلها و غاياتها في التصوير البياني ، د.ربيعي محمد علي عبد الخالق ، كلية التربية ، جامعة طنطا (1989) دار المعرفة الجامعية ، إسكندرية .
- تاريخ البلاغة العربية ، د.عبد العزيز عتيق ، أستاذ بجامعة بيروت العربية ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت – لبنان ، (د ت)
- دراسة الأسلوب بين المعاصرة و التراث ، د.أحمد درويش ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة . (د ت)
- الصناعتين الكتابة و الشعر ، من تصنيف أبي هلال العسكري ، تحقيق د.مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1401هـ/1981 م .
- اللغة و الأسلوب ، عدنان بن ذريل ، ، دراسة و مراجعة و تقديم حسن حميد ، الطبعة الثانية منقحة 1427 هـ-2006 م ، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن
- معين الطالب في علوم البلاغة ، محمد أمين الضناوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان . (د ت)
- المفيد في البلاغة العربية،د.سميح أبو مغلي ، الطبعة الأولى ، دار البداية ناشرون و موزعون ، 2007 م ، عمان
- المنهج الأسلوبي في النقد العربي الحديث ، بشرى موسى الحاج ، علامات ج40 ، مج : 10 ، السعودية .
- نظرية البنائية في النقد الأدبي ، صلاح فضل ، ط:3، دار الآفاق 1985 بيروت

الرسائل الجامعية :

- رسالة لنيل شهادة الماجستير ، تخصص :البلاغة الأسلوبية ، تحت عنوان : ابن حميد الصقلي ، دراسة بلاغية و أسلوبية في الديوان من إعداد الطالب : يوسف بلعيد، إشراف الأستاذ : د: عبد اللطيف شريفي ، السنة الجامعية : 2008-2009 م .
- رسالة لنيل شهادة الماجستير تخصص: البلاغة و الأسلوبية تحت عنوان : خصائص الأسلوب في شعر محمد العيد آل خليفة ، إعداد الطالبة : صفية بوعناني ، إشراف : أ.د. شريفي عبد اللطيف . السنة الجامعية : 2010-2011 م.

الملخص :

التصور الجوهري الذي حاولنا أن نقدمه في هذه الدراسة هو الفوارق التي تميز البلاغة عن الأسلوبية و مواطن تلاقي هذين العلمين من خلال العلاقة الرابطة بينهما و التي تتجسد في مجال الأدب

الكلمات المفتاحية : البلاغة ، الأسلوبية ، العلاقة ، الفرق ، مقارنة ، تلاقي .

Résumé

La perception fondamentale que nous avons essayé d'entamer dans cette étude, est de l'étude des différences qui distinguent la rhétorique de la stylistique, ainsi les points communs qui relient les deus sciences, à partir de la relation entre eux qui se manifeste dans de domaine de la littérature.

Mots-clés: rhétorique, stylistique relation, la différence par rapport à la convergence.

summary

The fundamental perception we have tried to offer in this study of the differences between the rhetoric form and the stylistic one,also,their common points, by the relationship that join both of the fields which is incarnated in literature.

Keywords: rhetoric, stylistic relationship, difference with respect to convergence.

الـفـهـرس

الـموضوعـات	الـصفـحة
إهداء	
شكر و تقدير	
فهرس المحتويات	
مقدمة	أ-و
الفصل الأول:حول مفهوم البلاغة العربية	
المبحث الأول:تعريف البلاغة	2
التّعريف اللغوي	2
التّعريف الإصطلاحي	5
المبحث الثاني:نشأة البلاغة العربية	10
المبحث الثالث:رواد البلاغة العربية	20
المبحث الرابع:المدارس البلاغية	41
حديث متّصل عن المدرسة الكلاميّة البلاغية	44
المدرسة الأدبية	45
الفصل الثاني:حول مفهوم الأسلوبية	
المبحث الأول:مفهوم الأسلوبية	47
الأسلوبية في الدراسات النقدية	48
الأسلوبية في المعجمات اللسانية	50
المبحث الثاني:نشأة الأسلوبية	54

المبحث الثالث:رواد الاسلوبية	64
المبحث الرابع:مدارس الاسلوبية	75
الاسلوبية التّعبيرية	76
الاسلوبية النّفسية	77
الاسلوبية البنيوية	79
الاسلوبية الإحصائية	81
المدارس الاسلوبية الحديثة	82
الفصل الثالث:مقارنة بين البلاغة و الاسلوبية	
المبحث الأول:البلاغة و الاسلوبية	86
المبحث الثاني:أوجه الإختلاف بين البلاغة والاسلوبية	93
المبحث الثالث:أوجه التلاقي بين البلاغة و الأسلوبية	106
المبحث الرابع:التّحليل الأسلوبي و التحليل اللّغوي	117
مستويات التّحليل الاسلوبي	118
التمفصل اللّغوي تهيّجان	121
الصّور البلاغية أو صور الأسلوب	122
خاتمة	128
قائمة المصادر و المراجع	130